الناشر:
العتبة العباسية المقدسة /دار الرسول الاعظم ﷺ

المتابعة و التنفيذ :
رضوان عبد الهادي السلامي

الادارة االفنية :
م.م.ياسين خضير الجنابي
حسن علي المرسومي

التدقيق اللغوي:
أ.م.د.ليث قابل الوائلي
م.د. أحمد حسن الغانمي

التصميم :
حسين عقيل ابو غريب

دليل ندوات دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

في البدء

هذه إضمامة من الندوات العلمية في السيرة النبوية العطرة أقامتها دار الرسول الأعظم ﷺ لتسليط الضوء على مجموعة من الحيثيات المتعلقة بتدوين السيرة، وكان الهدف منها مراجعة السيرة النبوية المباركة في هدي القرآن الكريم فضلاً عن توفير المناخ العلمي الثقافي والفكري للأكاديميين والمهتمين بالسيرة النبوية، كل ذلك في سبيل الذب عن شخصية النبي الأكرم ﷺ وما يمكن استغلاله في المدونات التاريخية السيرية بما لا ينسجم وشخصيته ﷺ في القرآن إذ يقول تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم).

وقد تعاقب على هذه الندوات في ملتقى السيرة النبوية الذي تعقده الدار دورياً، مجموعة من الأكاديميين والحوزويين الذين اختاروا مجموعة من العنوانات الحيوية التي أثارت سلسلة من المناقشات العلمية أثرت البحث العلمي في حيثيات مهمة من حياة النبي صلى الله عليه وآله.

ونحن إذ نقدم هذا القطف الثاني من ملتقى السيرة نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في تقديم ما ينفع القارئ الكريم في السيرة المباركة والحمد لله رب العالمين.

الندوة الأولى

- رواية السيرة النبوية الشريفة
  ضمن المبعث النبوي الشريف
- الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري
- على قاعة مركز العميد الدولي
  للبحوث والدراسات
- يوم الجمعة الموافق 2018/6/22م

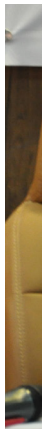

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) ﴾

كانت لنا محاضرة في العام الماضي في هذا المركز المبارك بعنوان (رواية نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وستكون الندوة في هذه السنة بعنوان (رواية السيرة النبوية الشريفة في المبعث النبوي الشريف)، عسانا أن نوفق إلى عرض ذلك بما يخدم السيرة النبوية وتاريخ المسلمين . ومن الضروري لمن يكتب في السيرة النبوية الشريفة أن يقف أمام هذه المحطات التي سأقف عندها .

في شهر شباط الماضي من هذا العام ٢٠١٨م كنت أتابع ندوة عقدت في جامعة برمنجهام Birmingham University في بريطانيا بخصوص المخطوطات الإسلامية ، وقد شدني الى الموضوع هذا ورقة (للدكتورة المستشرقة الإيطالية ألبا فديلي) في الندوة المشار اليها وهي بعنوان (أقدم مخطوطة عن القرآن الكريم) The oldest manuscript OF the Holy Quran ، وحقيقة الأمر وجدت أن هذا العنوان هو عنوان رسالة الدكتوراه، التي حصلت عليها (الدكتورة ألبا فديلي) من جامعة برمنجهام في بريطانيا Birmingham City University ، وقد حصلت عليها في أواخر عام ٢٠١٥م، فأعادت الفكرة في ٢٠١٨م لأهمية هذا الموضوع ، والحقيقة أن الدكتورة (فديلي) قد جالت مكتبات القاهرة، و(مكتبة ببلوثيك ناشنوال) في فرنسا National Library of france – BNE ، و(مكتبة

الفاتيكان) Vatican Library وتقع في مدينة الفاتيكان، وقد استقرت على (مكتبة أبحاث كودبري) Cadbury Research Library وهي في (جامعة برمنجهام) Birmingham City University ـ وأرجو من القارئ الكريم أن لا يتصور أني خرجت عن أصل الموضوع: رواية السيرة النبوية الشريفة ؛ لأن هذه المقدمة تمثل مفصلاً مهماً في المحاضرة، وهي بعون الله تعالى ستصب في الرافد نفسه الذي نحن بصدده وهذه المكتبة تضم كتبًا ومخطوطات عالمية للعراقي الكلداني من زاخو (المستشرق القس الفونس منغنا) Alphonse Mingana وكان عالمًا بالآرامية والسيريانية، وقد كتب عن السيرة النبوية الشريفة فضلا عن كتاباته عن القرآن الكريم وبحثه المشهور "مجموعة أوراق من جلد الماعز لسور من القرآن "وبحثه عن "جمع القرآن "، فكان مهتمًا بجمع التراث و المخطوطات ، وحينما انتقل من زاخو في ١٩٢٠م إلى بريطانيا نقل معه المكتبة التي تضم أكثر من ثلاثة الاف مخطوطة ، تجمع بين مخطوطة الرق: جلد الغنم والمعاز ، وأوراق البردي، ومخطوطات عربية إسلامية نادرة وثمينة .

وقد وجدت المستشرقة الإيطالية (ألبا فيديلي) تبحث عن اختصاصها في القرآن الكريم دفتين من هذه الثلاثة آلاف مخطوطة ، دفتين من جلد الماعز أو الغنم مكتوباً عليها القرآن الكريم ، الورقة الأولى مكتوب عليها آيات من سورة الكوثر، والورقة الثانية الآيات الأخيرة من سورة مريم ، وقد خُطَّت هاتان الورقتان على جلد الماعز أو الغنم بالخط الحجازي القديم ، وهو أقدم من الخط الكوفي ، وكان من الخطوط التي كتبت بها المصاحف الأولى ، فرأت هذه المستشرقة أهمية هاتين

المخطوطتين ، وطلبت من مديرة المكتبة أن تحدد تاريخها ، فأَرسلت الورقتين إلى جامعة اكسفورد University Oxford حيث يوجد مختبر لفحص الورق وتحديد تاريخه (بتقنية الكربون المشع)، وهو مركز متطور وحصل صاحبه على جائزة نوبل ، وكانت احصائياته في علم المخطوطات تجاوزت الـ ٩٥ بالمئة ، وبذلك فإن نتائجه تعد من النتائج المهمة ، وجاءت الفحوصات بمعلومات مثيرة وقد نشرت خبر هاتين المخطوطتين (جريدة الاندبنت البريطانية) the Independent وذلك بمقال بعنوان نبأ مثير للمسلمين : العثور على اقدم مخطوطة للقران الكريم ، فتهافت المستشرقون والمهتمون بالقرآن الكريم لزيارة هذه المكتبة للاطلاع على هذه النتيجة ، وكان من بينهم البروفسورديفيد توماس Professor David Thomas وهو أستاذ المسيحية والإسلام في جامعة برنناد ، فذكر ان الورقتين لا تختلفان عن القرآن الذي بين أيدينا ، وتوصلت النتائج إلى ان هاتين الورقتين تعودان الى السنة ٥٦٨ ميلادي، مما أثار ديفيد توماس المستشرق ومستشرقين اخرين إذ قالوا كيف ذلك؟ فان هذا القرآن على هذا القول يعود إلى ما قبل ولادة النبي محمد ﷺ وبدأ الخراصون والمستشرقون المتعصبون يقولون ان رسول ﷺ حينما بعث له الوحي اعتمد على هذه النسخة الموجودة من القرآن الكريم .

نحن الحقيقة نريد من خلال هذه المسألة المتعلقة بأقدم مخطوطة للقرآن الكريم أن ننتقل إلى المصدر الثاني من مصادر التاريخ الاسلامي ألا وهو رواية السيرة النبوية الشريفة كي نعرج على موضوع في غاية الأهمية ، إذ يعرف الكثير أن رواية السيرة النبوية الشريفة بل رواية التاريخ الإسلامي في القرن الأول

الهجري انبرى لها عدد من الرواة المعروفين أو غير المعروفين الذين نقلوا لنا الروايات نقلا شفاهيا أما من تابعٍ أومن صحابي ، ونحن نجد أن روايات التاريخ تتصدرها عبارة: وقد اختلف أهل السير والاخبار أو نبأنا أو أخبرنا أو حدثنا أو سمعنا أو سمعت عن من أثق فيه من أهل العلم أو سمعت من بعض العلماء أو هذا ما شهد به العلماء، وهذه المصطلحات كثيرة الورود ، وسنناقش في هذه المحاضرة ثلاثة عناصر في سيرة نبينا ﷺ هي : اليوم الذي بعث فيه ، والشهر الذي بعث فيه، والعام الذي بعث فيه .

وبعد قراءة مجمل كتب السيرة والكتب التاريخية وجدت أن مجمل الاختلافات عسيرة وكبيرة بين المورخين في هذه المسائل. فاليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وفقا لما موجود في البحث الذي يحتوي على سلسلة سندية، فيه روايات كثيرة تشير بعضها إلى أنه ولد لليلتين خلت من ربيع الأول ، وأخرى تقول لثماني ليالٍ خلت من ربيعٍ الأول، وثالثة تقول إنه ولد بعد عشر ليالٍ خلت من ربيع الأول ، ورابعة تقول إنه في ثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. واما الرواية الشيعية فمما يؤسف عليه أني وجدت أن مؤرخينا من أهل السنة عندما يشيرون إليها فإنهم يريدون أن يبينوا خطأها ، نحن نعرف أنه اتفق الامامية بحسب قول المجلسي إلا من شذ على أنه ولد ﷺ يوم ١٧ ربيع الأول ، والمشهور عند علمائنا جميعا إلى أنه صادف يوم الجمعة. ولكن لنقرأ كيف تعامل ابن عساكر مع الرواية الشيعية؟ اذ يقول: وأبعد بل أخطأ من قال إنه ولد ﷺ يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول ، وينقل ابن كثير كلامًا عن الحافظ ابن دحية الكلبي وهو من الفقهاء المغاربة المتوفى سنة ٦٣٢ هجرية فيما قرأه في كتب

الشيعة وهو (إعلام الورى في أعلام الهدى) للعلامة الطبرسي، إذ يذكر رواية الشيعة التي تشير إلى أنه ﷺ ولد في يوم الجمعة ثم يخطئ هذا القول ويشرع ابن دحية في تضعيفه فيقول: وهو جدير بالتضعيف وهو خلاف النص علما أن هذا الحديث الذي جاء به الطبرسي في كتابه هو للإمام الباقر عليه السلام وهو الحديث الواضح الوحيد الذي تحدث عن عام الفيل أو ولادة الرسول ﷺ والغريب أنه بعد صفحة واحدة يدلي ابن كثير برواية يقول: عن أبي جعفر، لم يقل الباقر ولا الامام ولا المعصوم عليه السلام ، وإذا به يشير إلى الرواية الشيعية السابقة أنه ﷺ ولد في يوم الجمعة في السابع عشر من ربيع الاول .

على أية حال هذه النقطة الأولى التي تمثل أول عنصر من عناصر السيرة وفيها اختلافات كثيرة ، وهذا الاختلاف يؤثر تاثيرًا كبيرًا في التسلسل التاريخي للاحداث ، علما أن هناك رواية تقول إنه ﷺ ولد لثماني ليال بقين من ربيع وهذا هو الرأي السادس ، وهناك من قال وهو راي السهيلي إنه ولد في ٢٠ ميسان وهو ليس من الأشهر الهجرية لكنني وجدته يعادل شهر رجب أو ربيع الأول تقريبا ، وهناك من يقول إنه ﷺ ولد الليلة الثالثة عشرة من شهر رمضان ، وقيل السابعة عشرة من شهر رمضان ،وقيل الثامنة عشرة من شهر رمضان وقيل أيضا إنه ﷺ ولد في ليلة ٢٤ خلت من شهر رمضان والأسانيد كلها ترجع الى أبي قتادة الانصاري الخزرجي المتوفى ٥٤ هجرية، وهو من الصحابة شهد جميع غزوات رسول الله ﷺ بعد معركة بدر، وشهد أيضا معارك امير المؤمنين عليه السلام، وردت عنه رواية واحدة ولكن انظروا ماذا فعل التحريف أو الإضافة في الرواية؟ فهي رواية واحدة رواها الزماني عن ابي قتادة

الانصاري ، تقول: سأل أعرابي رسول الله ﷺ عن صوم الاثنين فقال ﷺ: إنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه، وعن الزماني نفسه أن السائل رجل ،وعن الزماني نفسه عن أبي قتادة ان السائل نفسه هو عمر بن الخطاب، وفي راوية أخرى : قال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ: اني رأيت رجلاً يصوم يوم الإثنين فما هو رأيك؟ قال ﷺ : إنه اليوم الذي ولدت فيه واليوم الذي أنزل فيه الوحي عليّ ،وهناك رواية أخرى أن السائل هو بلال، سأل رسول الله ﷺ عن صوم الإثنين، فقال ﷺ: إنه اليوم الذي ولدت فيه ، واليوم الذي أنزل الي الوحي فيه ، فهذه روايات صوم الاثنين ؛لأنه ولد فيه رسول الله ﷺ،وأشار الطبري في كتابه إلى اختلاف أهل السيرة في اي الاثانين ولد الرسول ﷺ .

وفي الوقت نفسه لدينا روايات أخرى عن ابن عباس في ولادة رسول الله ﷺ وهو يعد المصدر الأساسي لعكرمة الذي يشابه أبا هريرة في كثرة الروايات المكذوبة حتى ان ابن عباس أراد ان يبيعه فهو مولى له ، فقيل له :كيف تبيع علم أبيك؟ فقال :هو كذب على أبي كثيرا . فهذه الروايات عن عكرمة أو حنش الصنعاني عن ابن عباس لم تكتف بتحديد يوم الاثنين مولداً للرسول أو بعثته بل : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين واستنبئ وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . وهذه الرواية نقلت في كتب البخاري ومسلم وغيره ، وقيل أيضا :ونزلت الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يوم الاثنين، وقيل أيضا نزلت سورة البقرة يوم الاثنين، وقيل معركة بدر وقعت يوم الاثنين. وكأن السيرة كلها حدثت يوم

الاثنين؛ لذا ذكر ابن عساكر أنه من غير المعقول ذلك إذ ان المتفق عليه بأن ما ورد في القرآن الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ كان في يوم الجمعة فكيف حدثت كل هذه الاحداث يوم الاثنين ؟ وان معركة بدر وقعت يوم الجمعة أيضا لاحظوا هذه الروايات هي التي كتب بها تاريخنا !!

ننتقل إلى النقطة الثانية المهمة جداً وهي الشهر الذي ولد فيه الرسول الاعظم ﷺ، وهو يحمل خطورة كبيرة جدًا على التسلسل التاريخي للأحداث والغزوات وسيرة رسول الله ﷺ. إذ أشار بعض المستشرقين إلى وجوب إعادة كتابة السيرة بعد نشر هذا الصحف التي يقال إنها تعود إلى عهد قبل ولادة الرسول ﷺ.

نأتي إلى المقصد المهم وهو ما أشار إليه البروفيسور(ديمتروس) **Demetros** والمستشرقة (فيدلي) **Viedly** من أن القرآن الكريم أو أن هاتين الورقتين المخطوطتين ترجعان إلى سنة ٥٦٨ ميلادية فإذا كان رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل أي سنة ٥٧٠ اذن كيف يكون القرآن الكريم كاملاً في سنة ٥٦٨ قبل ولادة رسول الله ﷺ ؟ لذا نحن نحاول أن نعرف هل المؤرخون المسلمون كانوا متفقين على عام الفيل ؟ فقد وردت سورة قرآنية تذكر عام الفيل، قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)﴾.

للرازي رأي ممتاز جدا في كتابه التفسير الكبير وانا ارجحه ، يقول فيه : لماذا تشككون في أصحاب الفيل وقد قرأ رسول الله ﷺ هذه السورة في مكة ولم يعترض عليه الجاهليون وكانوا قريبي العهد وسجلوا واقعة الفيل ، وقد اختلف المؤرخون في عام الفيل اختلافا كبيرا، وقد احصيت هذه الاختلافات وأحاول أن اقرأها عليكم، نحن اول ما نبدأ به رأي الامام الباقر عليه السلام وهو

المرجح طبعا لدينا اذ يقول الامام عليه السلام: إن مولد النبي صلى الله عليه وآله بعد عام الفيل بخمس وخمسين ليلة ، وقيل في رواية أخرى وردت للمجلسي بأربعين ليلة، وذكر محمد بن إسحاق عندما تكلم على الحمص وهم أشراف قريش وأعلاهم فقال: قد كانت قريش ولا ادري أ قبل الفيل أم بعد الفيل ابتدعت رأي الحمص؟ فاذا كان محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٠ هجرية يقول لا ادري قبل عام الفيل أو بعده فكيف لنا ان نميز عام الفيل، هذا دليل على ان عام الفيل اصبح مدة زمنية محددة في تاريخ العرب ، وتعد الحد الفاصل الذي يؤرخ به العرب ، وليس هناك أظهر وافضل من ان تكون فيه ولادة النبي الاعظم محمد صلى الله عليه وآله في عام الفيل حيث يعد بداية العام الذي افتخرت به قريش.

ثم نلاحظ فيما يتعلق بالنقطة الثانية في رواية أخرى نقلا عن محمد بن جبير بن مطعم هو ثقة في رواية الحديث، يقول : ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت عكاظ بعد الفيل بـ ١٥ عشر سنة اذا لماذا يقول عكاظ كانت بعد الفيل بـ ١٥ سنة ، ويقول بني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله على رأس أربعين سنة من عام الفيل ؟ اذن صارعام الفيل مدة مهمة في تاريخ مكة وتاريخ قريش لإنه يمثل مرحلة زمنية محددة ، يقول عن الزهري عن ابن إسحاق قال كان النبي صلى الله عليه وآله مع جده فهلكت أمه وهو ابن ست سنين بعد الفيل، لماذا قال بعد الفيل؟ وقال كان مع جده عبد المطلب ثم هلك عبد المطلب بعد الفيل بثمان سنين وهو نفسه عمر النبي صلى الله عليه وآله ثماني سنين بعد الفيل، اذا صار تحديدا زمنيا وليس له علاقة بأصحاب الفيل.

أما بالنسبة الى النقطة الثالثة إن قول الامام الباقر عليه السلام إنه

ولد ﷺ بعد خمس وخمسين ليلة من عام الفيل وليس في عام الفيل ، وقيل إنه ولد ﷺ بعد الفيل بشهر ، وقيل إنه ولدﷺ بعد الفيل باربعين يوما ، وقيل أيضا ولد ﷺ بعد الفيل بخمسين يوماً .

وعن الصحابي عبد الرحمن بن أبزي ، وهو ابن الصحابي أبزي الخزاعي من رواة الحديث لكنه ادرك رسول الله ﷺوصدّقه ، يقول: ان رسول الله ﷺ قد ولد بعد عشر سنوات من عام الفيل، وعن شعيب بن شعيب وهو محدث أهل الطائف يقول: إنه ﷺ ولد قبل عام الفيل بـ ثلاث وعشرين سنة، ويذكر مقاتل بن سليمان ان الرسول ﷺ ولد قبل الفيل بأربعين سنة، وعن أبي صالح عن ابن عباس ولد ﷺ قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، نأتي إلى روايات أخرى تقول بعد عام الفيل، رواية أوردها خليفة بن خياط في تاريخه يقول فيها وعن موسى بن عقبة المتوفى ١٤١ هجرية يقول إنه ولد بعد عام الفيل بـ ثلاثين سنة، وعن شعيب يقول إنه ولد بعد عام الفيل بثلاث وعشرين سنة ، وعن أبي زكريا العجلي يقول إنه ولد بعد أربعين سنة من عام الفيل ،هنا اختلط الامر علينا قبل أو بعد وهذه الفوارق طويلة: ثلاث وعشرين سنة أو أربعين سنة والتفاوت الكبير بين نقل الروايات هنا نبقى في حيرة من امرنا حيث ان كل شيء يتغير الغزوات والهجرة وكل شيء .

الآن دعونا نتساءل متى حدث عام الفيل وأين؟ القصة التي تتعلق بعام الفيل ذكرها محمد بن إسحاق ، ومقاتل ابن سليمان يقول بالحرف الواحد إنه لم يبلغوا مكة وعندما ذهبت إلى مصدر اخر لنعتمد عليه وهو المصدر الآثاري فكان من حسن الحظ ان

المستشرق ركمنز Rakhmens كان يبحث في اليمن عن اثار تتعلق بالحميرية والسبئية وغيرها فوجد على صخرة كان فيها نقش باللغة الحبشية، طبعا ابرهة الحبشي جاء إلى اليمن بعد حادثة نجران حينما أحرق نصارى نجران ، فارسل جيشا فيه ابرهة الحبشي وقائد اخر واستطاعوا ان يخرجوا إليهود ويقتلوا أبا نؤاس ويعيدوا السيطرة إلى الاحباش هذه حقيقة تكشف لنا هذا الأمر .ان ابرهة الحبشي لم يقد حملة الا ضد عامر بن صعصعة التي تقع في شمال الحجاز لان هؤلاء كانوا تابعين للفرس أراد ان يسيطر عليهم وذهب بجيش كبير ووصل إلى وادي اتخذه قاعدة وارسل قواته للحرب وكانوا على بعد ليلتين من مكة وانتصر جيشه على عامر بن صعصعة واخذوا العديد من الاسرى ورجعوا بها إلى ابرهة الحبشي وخلد ذكراه على هذه الصخرة ،يقول فيها : بقدرة الرحمن ومسيحه كتب الملك ابرهة هذا النقش عندما اغار على معاذ في الربيع من نيسان عندما سارت كل من بني عامر عندها ارسل الملك ابرهة مع قبيلتي كندة وعدي وارسل بشر بن حسن مع قبيلتي سعد ومراد وكانت كندة وعدي في طليعة الجيش وواجهوا جيش عامر اما قبيلتا سعد ومراد فكانتا في وادي على طريق تراب فذبحوا واسروا عدداً من جيش بني عامر اما الملك من جهة أخرى فقد خاض معركة في حليبان غرب الرياض الحالية وهزم جيوش معد ، واجبرت على تسليم الرهائن له هكذا عاد ابرهة من حليبان من قدرة الرحمن في عام ٦٦٢ حبشية تعادل في الميلادية ٥٠٦ ميلادية وابرهة توفي بعد ذلك بعشرين سنة توفي وفاةً طبيعية واعقبه ابنه ثم اعقبه ابنه الآخر اذا كيف تعادل ٥٧٠ ميلادية ؟؟

اذن هذه هي رواية السيرة النبوية الشريفة التي كتب فيها تاريخ السيرة النبوية الشريفة في عناصرها الثلاثة اليوم والشهر والعام . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين محمد ﷺ واله الطاهرين .

تحليل نقش ابرهة الحبشي في منطقة مريغان (عسير) وعلاقته بحملة الفيل(٥٠٦)

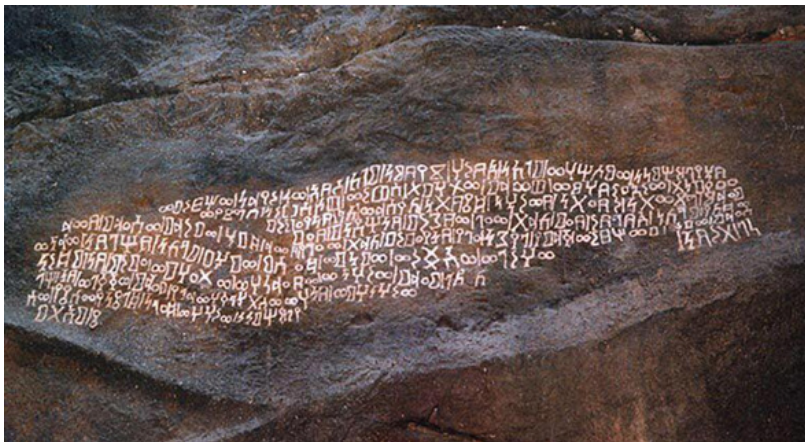

مخطوطة القران الكريم في جامعة برمنغهام

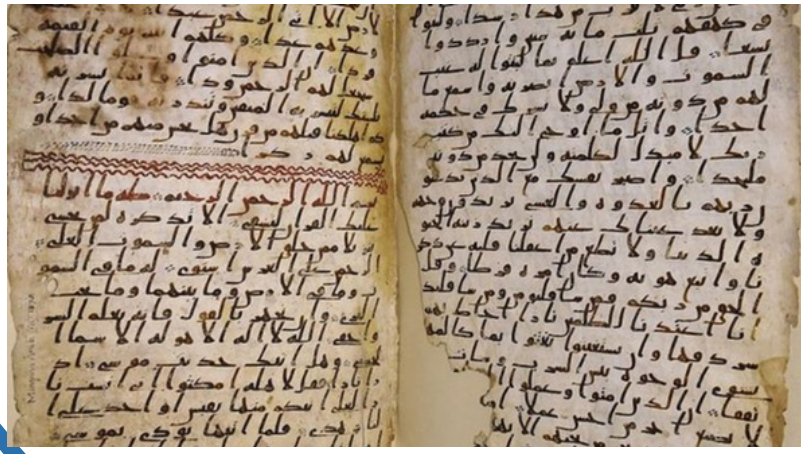

الجمعة الموافق ٢٠١٨/٦/٢٢ الساعة التاسعة صباحاً.
كربلاء المقدسة - مجمع الكفيل الثقافي - حي الاصلاح

دوة علمية بعنوان :
حث النبوي الشريف)
اذ الدكتور
اسري المحترم
ي للبحوث والدراسات يوم
لساعة التاسعة صباحاً.
كفيل الثقافي - حي الاصلاح

٢
الندوة الثانية

- من رواد تدوين المغازي الاولى
  أبان بن عثمان الاحمر البجلي ت 170 هـ

- أ.د. حسين داخل زويهي البهادلي
  عميد كلية التربية الجامعة العراقية

- يوم الجمعة الموافق 2018/9/28م

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه المنتجبين، وبعد.

يعد أبان بن عثمان الأحمر البجلي من أبرز رواد المغازي، ممن غيَّب أثره في هذا اللون من الكتابة التاريخية، وقد نُسِب الى آخر لتشابه في الاسم او لقصد آخر، فضلا عن ذلك فانّ هذا الراوي الكبير أبان بن عثمان الأحمر البجلي اذا ما وضعت المرويات التاريخية في نصابها الصحيح فقد يكون من أبرز مؤلفي السير والمغازي الأوائل بل من أكثرهم ضبطًا لمنهجها وأسلوبها ؛ حينئذ لابد من إعادة هيكلة ريادة علم المغازي بما يتفق والحقائق الجديدة التي توصلت اليها هذه الدراسة.

هنا يجب أن نشير الى دراسة قيمة للسيد رسول جعفريان؛ عكف على إعدادها أكثر من عقدين من الزمان ، جمع فيها روايات ابان بن عثمان الاحمر البجلي و بوّبها بحسب الأقسام الخمسة او الستة التي يحتمل أن كتاب ابان الضائع قد سلكها، وقد صدرت هذه الدراسة ١٩٩٦م بقم المقدسة عن مركز الإعلام الإسلامي باسم (المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة) لأبان بن عثمان البجلي.

قبل أن أخوض في البحث ، لابد من ذكر دور الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري في توجيهي لدراسة علم الرجال وإشرافه عليّ ، وتشجيعي في كل بحث أتطرق اليه فضلا عن انه شجعني على الكتابة عن أبان ، وقد كتبت دراسة عنه نُشرت سنة ٢٠٠٦ في مجلة الأستاذ العدد ٦٦ فكان داعما لي في مشروعي البحثي ، وكذلك اشكر الدكتور فلاح الاسدي الذي شجعني على الكتابة في هذا المجال خصوصا بعد ما لاحظت أنّ هناك اسمين: أبان بن عثمان بن

عفان، وأبان بن عثمان الاحمر البجلي، وهناك حقٌّ قد أقصي من أبان بن عثمان الاحمر البجلي فلابد من ارجاع الحق الى أهله .

كذلك لابد من الإشارة إلى أن هذا البحث لا يرمي الى الموازنة في السيرة بين أبان بن عثمان الاحمر وأبان بن عثمان بن عفان بقدر ما ترمي إلى اعطاء كل ذي حق حقه في الميدان الذي اشتهر فيه وفق منهجية روعي فيها السبق التاريخي ، وتوخيت فيها معيار المصداقية والموثوقية فضلا عن التحري في التشابه بين الاسمين، والاشكالات السندية التي نتجت عن ذلك، اذ إن الباحثين المحدثين ممن ألفوا في نشأة التاريخ، او علم التاريخ او المنهج التاريخي الاسلامي قد توهموا بين الاسمين فأعطوا بقصد او بغير قصد اختصاص أبان بن عثمان بن أحمر في السيرة الى أبان بن عثمان بن عفان من غير أن يجهدوا أنفسهم عناء البحث، وهناك أسماء كبيرة من ضمنها أستاذنا المرحوم الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه بحث في نشأة علم التاريخ، و فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي ومنهم ايضا رجائي ريان في كتابه مدخل لدراسة التاريخ . والبحث الحالي -إن شاء الله- سيخوض في هذا المجال.

في الكتابات التاريخية نادرا ما نشهد تداخلاً في التسمية والمنهج والمحتوى كما شهدنا ما حصل بين الأبانين، فقد عُرِفا بقاسم علمي مهم مشترك هو الريادة في علم الحديث والريادة في السيرة النبوية، لكن المشكلة أن الأول أُعطي الاختصاص مع انه جامع على اكثر الاحتمالات لمجموعة صغيرة من الصحائف شأنه في ذلك شأن كل أبناء الصحابة فقد كانت لديهم سير صغيرة ؛ ليفخروا باجدادهم وخاصة في المغازي ، في الوقت نفسه طمسوا اسم المدون الأصلي الذي هو أبان بن عثمان الاحمر البجلي.

وكان هذا الموقف غير الحيادي أحد أسباب الكتابة في هذا الموضوع، وقبل أن أدخل في الحديث عن أبان بن عثمان الاحمر البجلي ، سوف أعرض لشخصية أبان بن عثمان بن عفان، وبعد ذلك نبين اختصاصه وفي أي ميدان اشتهر به ،ولماذا أعطي اختصاص السيرة النبوية مع أن الروايات الموجودة في السيرة كلها سواء كتاب ابن إسحاق الذي هذّبه ابن هشام، ام كتاب طبقات ابن سعد، او مغازي الواقدي ، وحتى تاريخ الطبري، كل الإحالات السندية الموجودة لا يوجد فيها مصدر واحد يقول إنها تعود الى أبان بن عثمان بن عفان. اذن لماذا يعده عبد العزيز وكل من ألف في منهج التاريخ كصائب عبد الحميد ابن عثمان بن عفان؟ وكل من ألّف في منهج التاريخ او مناهج المؤرخين يعدوه من الرواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية؟

فأبان بن عثمان هو نجل الخليفة عثمان بن عفان بن أبي العاص مدني النشأة والسكن ويكنى بأبي سعيد ،وسعيد هو ولده، والمصادر التي ترجمت لنا لم تشر الى ولادته لكن يحتمل انه شارك في معركة الجمل سنة ٣٦ للهجرة، ويحتمل انه في هذه الحرب كان عمره ٢٠ سنة إذ كان عمره يؤهله للمشاركة في المعركة للأخذ بثار والده، اما وفاته فقد اختلفت الآراء فيها ، فهناك من يقول انه توفي بعد سنة من وفاة عبد الملك بن مروان وقد توفي عبد الملك بن مروان سنه ٨٦ هـ وهناك من يقول انه توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ـ ١٠٥) ، و قسم آخر يقول إنه توفي بين ١٠٤-١٠٥ هـ ، فقد تعددت الروايات في وفاته وأكثرها تذكر سنة ١٠٥ ، ولا توجد معلومات كاملة عنه، خاصة بعد أن عُزِل من المدينة سنة ٨٣ هـ إذ فضّل العزلة ، وعلى ما يبدو بدأ يراودني الشك أنّه بدأ

برواية الحديث بعد أن عزل ؛ لأنه أصابه فالج كبير حتى ان أهل المدينة كانوا اذا دعوا على احد قالوا: أصابك فالج أبان، فضلا عن ذلك أن الذي يجعلني في شك أكثر انه أصيب بصمم.

ولد في مدينة رسول الله وترعرع فيها واستفاد من ثقافتها ، وأدرك قسماً من الصحابة، منهم الامام علي عليه السلام ، وعبد الرحمن بن عوف، وقد أخذ عن والده عثمان وعن الزبير ، وله علاقة بأبناء الصحابة ، تبوأ مكانة بين المحدثين ؛ لذلك هناك من يعده من فقهاء الطبقة الأولى من التابعين ، وهو ثقة فيما يرويه، قال فقيه أهل الطائف ومحدثهم عمرو بن شعيب السهمي (١١١هـ): مارايت أحدا أعلم منه في الحديث، والفقه، ـ وهنا أركز على قوله : (الحديث والفقه) ـ ، وعدّه يحيى بن سعيد القطان (١٩٨ هـ)من كبار فقهاء المدينة، وعدّه احمد بن عبد الله في كتابه معرفة الثقات (٢٦١هـ) ثقة من كبار التابعين ، وامتدحه محمد بن حبان البستى (٣٥٤هـ) في كتابه مشاهير علماء الامصار،فقال: كان أعلمهم بالقضاء .هؤلاء جميعهم لم أجد أحدًا منهم يقول: إنه أعلم الناس في المغازي، إذن لم يكن أبان شخصا عاديًا بعد ارتفاع درجته العلمية ومكانته الاجتماعية حيث ادرك حياة عدد من الصحابة وبنى علاقات طيبة معهم فضلا عن كونه حفيد الخليفة الثالث وكان يتمتع بخلفية تاريخية مهمة ، لكن المهم الآن، هل يعد اول جامع للمغازي لأن اسمه يقرن بعروة على أنه من الرواة الأوائل في مناهج المؤرخين ، ام هو جامع فقط لمجموعة خاصة للأخبار المتعلقة بالمغازي التي يحتمل أنها كانت تقرأ في مساجد المدينة في ذلك الوقت.

وما يزال بعضهم إلى الآن عندما يكتب عن أبان بن عثمان بن عفان يعرفه بأنه رائد رواد السيرة ، من غير

تحرٍ أو تدقيق، لكنني لم أجد له أيَّة رواية في السيرة او المغازي سوى روايتين الأولى: وردت عن ابن سعد(٢٣٠هـ) في كتاب الطبقات، والثانية في كتاب الاخبار الموفقيات للزبير بن بكار (٢٥٦ هـ)، هاتان الروايتان تحدثوا فيها بانّ لابان مغازي لكن لم نعرف هل هو مدون للمغازي أو لديه نسخة منها؟ وهنا نتساءل هل رواية ابن سعد توفر الدليل المادي بان اباناً كان رائدا في هذا المجال؟ وقد رجعت إلى النص الأصلي لابن سعد فوجدت الرواية نفسها نقلها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بأسلوب مختلف ، ونقلها المزي في تاريخه (تهذيب الكمال) أيضا بأسلوب مختلف، ويحتمل بوجود أكثر من نسخة متداولة من طبقات ابن سعد .

عندما قرات رواية ابن سعد وجدت الرواية لا تتناول أبان بن عثمان بن عفان نفسه لكنها تتناول شخصًا آخر، هذا الشخص اسمه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (١٠٥ هـ) وقد كان مشاركا بحملة مسلمة التي أرسلت على بلاد القسطنطينية سنه ٩٨ وهذه الحملة أرجعها عمر بن عبد العزيز بعدما اشرف جنودها على الهلاك ونفدت المؤن وعانى الجيش قساوة الشتاء وضاقت بهم السبل وذهبت عين المغيرة؛ لذلك سمي بالاعور، وقد ذكر ابن سعد عند ترجمة المغيرة : كان ثقة قليل الحديث الا مغازي رسول الله ﷺ التي أخذ نسختها من طريق ابان بن عثمان بن عفان ولم يوضح فيما اذا كانت هذه المغازي من جمع أبان على وجه التحديد او أن الأخير اكتفى بنسخها من نسخ أخرى كانت متداولة.

النقطة الثانية : إن ابن سعد في ترجمته لأبان لا نجده يذكر انه كان عالما بالمغازي بل كان يؤكد ثقته في علم الحديث.

النقطة الثالثة: النص لا يؤشر صراحة انّ ابن

سعد قصد ابراز دور أبان، و انما أراد ان يقول انّ مغازي رسول الله ﷺ كانت تقرأ وتُعلم في المدينة، وهناك كثير من الأمثلة، كلها لديها مغازي كانت تقرأ وتعلم ، ويؤكد دور الصحابة في حث الناس على تعليمها ، وأول مثال لدينا هو عبد الله بن عباس حبر الأمة (٦٨هـ) إذ إنه كان يخصص أحد أيام الأسبوع لرواية المغازي. ونقل عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: ((كنا نعلم مغازي رسول الله كما نعلم السورة من القران)) ونقل أيضا عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص قوله: ((كان ابي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا ،ويقول هذا شرف ابائكم فلا تضيعوا ذكرها)) وروي عن محمد بن شهاب الزهري رائد المغازي قوله: ((علم المغازي خير الدينا والاخرة)) يعني أن المغازي كانت موجودة تُقرأ في المساجد ولا يشترط أن يكون هناك نص مكتوب.

النقطة الرابعة: يستعمل ابن سعد نعوتًا وصفية خاصة برجال الحديث في أسانيد الرواة او الذين حدثوا عن سير المغازي ، على سبيل المثال قوله : صاحب المغازي او عالم بالمغازي او علّم العلم والمغازي، ولم يرد اسم ابان بن عثمان بن عفان بين اولئك الذين ذكروا ، في الوقت الذي خصّ فيه بالذكر أسماء أقل شهرة من ابان بن عثمان باستثناء الرائد الذائع الصيت محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (١٥١هـ) مثلا: عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وصفه بعالم المغازي ، ومحمد بن صالح الدينار التمار كان يعلم العلم والمغازي، وأبو يعقوب يوسف بن البهلول الدارمي نعته بصاحب المغازي، لكن لم اجد أي وصف لأبان بن عثمان بن عفان، و صرح ابن سعد في كل مواضع كتابه الطبقات: ان أول من جمع السيرة هو محمد بن إسحاق.

النقطة الخامسة: اذا كانت مغازي أبان بن عثمان موجودة فعلا لدى المغيرة المخزومي، فلماذا لم يطلع عليها شيخ ابن سعد ، رائد المغازي محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ؟ فقد تتلمذ الواقدي على يد يحيى بن المغيرة ،وأخذ بعض الروايات منه ، فكيف أوصى المغيرة ابنه يحيى ،وقال له :هذه المغازي التي تعود لأبان لدي وأوصيك بها، ومن باب أولى أن يقرأها على تلامذته ومن بين تلامذته كان الواقدي، وكان الواقدي أكثر من غيره عناية بهذا الجانب ؛ لانه كتب المغازي وتناولها بثلاثة أجزاء ، وهو متفحص دقيق في رجال الدين ،وكان يجمع الاسانيد حتى وان كانت روايات ضعيفة فكان منهجه دائما يجمع الاسانيد الجمعية وشبه الجمعية في سند واحد ، ولديه عنصر التحري والشمولية ، لماذا تعمد الواقدي إهمال مغازي أبان عند جمع المغازي وتدوينها ، أ لم يجد فيها ما يثيره؟ واعتمد الواقدي على أكثر من ١١٦ راوية ، من بينهم ابن ابي سبرة فهو أحد رجاله وهو مذموم في علم الجرح والتعديل وكان أحد الشيوخ الكبار للواقدي اذن لماذا لم يأخذ رواية أبان ، قد يقول بعضهم ربما سقط اسم ابان بن عثمان بن عفان وهو احتمال ضعيف ، وانا تابعت الروايات التي ينتهي سندها الى الواقدي في المؤلفات الأخرى التي نقلت من طريقه فوجدتها لا تؤيد هذا الاحتمال ، فلم اجد أي إشارة لأبان بن عثمان بن عفان .

النقطة السادسة: لو افترضنا جدلاً أن مغازي أبان بن عثمان كانت موجودة، وتُقرأ في مساجد المدينة المنورة ونواديها الثقافية والعلمية في الثاني الهجري / الثامن الميلادي في أقل تقدير كما تؤشر رواية ابن سعد ، فلماذا لم يعتمد عليها ابن سعد نفسه مع انه

خصص جزءًا منه للمغازي، أ لم يكن الأجدر به الاشارة اليها او في الأقل ذكر بعض رواتها ، او ذكر اسم أبان بن عثمان ضمن رواتها ،ولماذا اعتمد ابن سعد على ابان بن عثمان الاحمر البجلي وذكره صراحة في حين لم يذكر ابان بن عثمان بن عفان؟هذه النقطة التي جعلتني أدحض الرواية .

واذا انتقلنا من رواية ابن سعد الى رواية اكثر شمولا وهي رواية الزبير بن بكار في كتاب الأخبار الموفقيات ، نحن نرى هذه الرواية أكثر تفصيلا من رواية ابن سعد ،لكن وحداتها متصلة وفي بعضها مقحمة ومعروف حسب منهج الزبير بن بكار في الاخبار الموفقيات أن لديه نسيجا سرديا فهو يميل للكتابة السردية. وقد فككنا الرواية واخذنا منها عناصر القوة والضعف فيها، لنبني رأيًا اكثر موضوعية ، ووجدنا أن الزبير رواها في اخبار الموفقيات؛ لان هدفها الأساسي تؤكد أسبقية وريادة ابان بن عثمان بن عفان في تدوين المغازي.

وتعلمون أن هناك حربًا فرضها الامويون او السلطات الاموية على رواة السيرة والمغازي، وقد أشار الدكتور حسين عطوان إليها في الجغرافية التاريخية لبلاد الشام ، وكان الامويون لا يقبلون رواية السيرة النبوية ولو على الشيخين ؛لانه كان فيها فضل للأنصار،والامويون معروفون بطمس هذا الفضل، وعندما بحثت في الرواية وجدتها تبدأ بسند مصعب الزبيري عن الواقدي أخذها مشافهة من ابن أبي سبرة عبد الرحمن بن يزيد، ولا اريد ان اطيل فقد خضت كثيرا في هذا الموضوع ، ووجدت ان الدكتور حسين عطوان واقع في اشكال بعلم الرجال في تحديد أحد الرواة واتضح انه غيره ، والرواي الثاني وجدته ليس هذا الراوي المعروف بل من المجاهيل ، فأول راوٍ مجهول والشخص الثاني في السند

هو ابن أبي سبرة الذي وضع ٤٠٠٠ حديث كذب على الرسول ، وفي رواية أخرى ٧٠ الف؛ لذلك هو منعوت مقدوح مذموم عند كل من كتب في علم رجال الحديث ،وقد ذكر ابن عدي الجرجاني في كامل ضعفاء الرجال النعوت الوصفية له، وجميعهم أجمعوا على كذبه ، وهذا يؤكد أن سند الرواية لدينا واحد.

وتؤشر الروايات ان سليمان بن عبد الملك وهو ولي العهد الثاني ، ذهب سنة ٨٢ هـ إلى زيارة المدينة المنورة ، وكان والي المدينة حينها ابان بن عثمان بن عفان ، فمروا به على المشاهد ، فشاهد أحدًا ، ومشربة أم ابراهيم،ومساجد الفضيخ ، وغيرها فأعجبته هذه المشاهد ، فأمر ابان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي والمغازي فأجابه أبان بما نصه : (هي عندي مصححة لقد أخذتها ممن أثق به) فلم يقل أنا دونتها ، بل قال هي عندي مصححة ، فأمر سليمان بنسخها وألقى بها الى عشرة من الكتاب فنسخوها وكتبوها في رق وصارت اليه ، فلما نظر وجد فيها فضلا للأنصار في العقبتين وذكرًا للأنصار في بدر. فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، يقصد الأنصار فقال :ابان ، أيها الأمير لا يمنعنا هذا ما صنعوا بالشهيد المظلوم ـ يقصد الخليفة عثمان ـ فان القول بالحق على ما وصفنا لك في كتابنا ، فلما سمع سليمان جواب أبان قال: ما حاجتي الى أن أنسخ ما يكرهه أمير المومنين ـ يعني والده ـ، وقال :سأسأل أمير المؤمنين ـ يقصد عبد الملك بن مروان ـ فانا ذاهب اليه وسأخبره، وجرت محاورة بينه وبين والده ، قال: أرأيت الذي كتب عن السيرة من المغازي ؟ فقال له عبد الملك: ما حاجتك في كتاب ليس لنا فيه فضل ، وقال : فبذلك أمرت بتخريق ما كنت نسخت .

وبقي يتابع الموضوع ، وذهب مع قبيسة بن ذؤيب، وكان مستشارهم (ت٨٦ هـ)وكان وقتها على ديوان الخاتم وتحدث معه ، وقال له: انا لم اقتنع بهذا الذي حدث ، وقال له قبيس: نحن أيضا كان لنا فضل في تلك المعركة ولكن لم نذكره، وقد شهدنا من بني بدر ١٦ رجلاً من انفسهم وحلفائهم ومواليهم ، وتوفي رسول الله ﷺ وعماله من بني امية أربعة هم : عتاب بن أسيد على مكة ،وأبان بن سعيد على البحرين ،وخالد بن سعيد على اليمن، وابو سفيان بن حرب على نجران، لكن لا نريد رواية المغازي .

أولاً :ذكر أبو سحاق قبيسة أن اول من منع ذلك هو معاوية وبعد ذلك يزيد وغيرهم ؛ فنحن لدينا المنع سنة، فرضها الامويون ، يعني منع رواية السيرة النبوية.

النقطة الثانية: ان الشخص الذي تمحورت عليه الاحداث هو سليمان بن عبد الملك وليس ابان بن عثمان بن عفان ، وان اقحام الأخير على خلفية دوره السياسي إذ كان واليا على المدينة ، والحوارات التي تضمنتها هذه الرواية لم تشر الى دور محوري له .

والنقطة الثالثة :اذا كان سليمان بن عبد الملك قد عارض سياسة أسلافه التي تحضر جمع ونشر رواية المغازي وتدوينها، في بلاد الشام ، فلماذا لم يأذن بنشرها في اثناء خلافته فقد تبوأ مقعد الخلافة من ٩٦ الى ٩٩ ؟ هذه النقطة مهمة جدا.

والنقطة الرابعة: قول ابان بن عثمان: "هي عندي مصححة أخذتها ممن أثق به "فيه الكثير من الضبابية، وأيضا فيها تساؤلات أخرى ،

فهل هو الذي جمعها من الرواة او المشايخ ثم دونها او

هو نسخها ورتبها وبوبها وأعطى لها عنوانات او نسخها من نسخ أخرى ؟ هذه مجموعة تساؤلات .

النقطة الخامسة : النسخة الأصلية من كتاب ابان بن عثمان لم تخرق ولم تمزق بدليل قول عثمان(فما ايسر نسخها)اذن اين هي ؟ فان كانت جميعها موجودة، لماذا لم تعتمدها كتب السيرة والمغازي ؟ لماذا لم يعتمد عليها محمد بن شهاب الزهري ؟ولماذا لم يعتمد عليها عبد الله بن ابي بكر بن حزم (ت ١٣٥) ؟ لماذا لم يعتمد عليها موسى بن عقبة (ت ١٤١) في كتاب المغازي؟ و لماذا في كل كتب المغازي لم يرد أي ذكر لأبان بن عثمان بن عفان فيها ؟ اذا كانت لأبان بن عثمان بن عفان اهتمامات في جمع رواية المغازي لماذا لم يتوجه له الخلفاء الامويون ، وتوجهوا لعقبة بن الزبير وغيره يسألونهم ؟ وتاريخ الطبري مليء بهذه الاحداث، وكان ابن عروة ومحمد بن شهاب مستشارين لديهم ، فمن باب أولى أن يبعثا إلى أبان بن عثمان للقرابة التي بينهم ، وكان يدخل عليهم في دمشق ويتجاذب معهم اطراف الحديث .

الذي توصلت إليه أن كل ما يقال عن ريادة أبان بن عثمان بن عفان في علم المغازي يجانب الحقيقة.

الراوي الآخر : هذا الذي طمس أثره وأعطي اختصاصه لأبان بن عثمان بن عفان الذي هو محدث أو فقيه ، هو أبان الاحمرالبجلي ، فقد أوردت مصادر ترجمته تسميتين له: أبان بن عثمان الاحمر البجلي ، والأخرى أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي ، ويعرف بالاحمر البجلي، وقد انفرد بالتسمية الثانية ياقوت الحموي في معجم الادباء ،ونسج على منواله الصفدي في الوافي، ونسج على منواله كل

كتّاب التراجم كالسيوطي وغيرهم ، ، وهو يقول اخذت هذا الاسم من كتاب أخبار فهرس الامامية يقصد به الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) مع ان الشيخ سواء في مؤلفه هذا ام المؤلفات الأخرى لم يرد فيها اسم ابان بن عثمان ، ولم يأت على هذه التسمية وكان يكتفي بذكر ابان بن عثمان الاحمر ، ولا نعرف كيف التبس الامر على ياقوت الحموي ، والغريب أنه أقحم اسما اخر مع اسم ابان ، والغريب ان الاسم المقحم معروف عند السنة والشيعة وهو يحيى بن زكريا اللؤلؤي المكنى بأبي محمد في منتصف القرن الثالث الهجري.

إن كتب تراجم المحدثين لم تتحرَ حقيقة الامر والفصل بينهما ، بل نقلوا حرفيا ما قاله ياقوت الحموي ، وقد نبه على ذلك احد مؤرخي السيرة المحدثين وهو السيد رسول جعفريان لكنه لم يخض في الاسم المقحم ، فابان الثاني هو ابان بن عثمان الاحمر يكنى بابي عبد الله وهو من موالي قبيلة بجيلة العربية الجنوبية بطن من الأزد، واما الاحمر الذي اقترن باسمه فهو لقب للدلالة على لون بشرته الحمراء ، وكان يطلق على الرجال الذين فيهم حمرة ، وقد كثر استعماله في القرن الثاني الهجري صفةً للرجال الذين وجوههم حمر، وقد أطلق على عدد من علماء الكوفة والبصرة ومحدثيهما ورواتهما أمثال أبي عبد الله جعفر بن زياد الأحمر(ت ١٦٧)، وأبي إسحاق سلمة بن صالح الجعفي الواسطي الكوفي نزيل بغداد (ت ١٨٨) ،وأطلق أيضًا على الراوي المعروف خلف الاحمر (١٨٠) وغيرهم.

والتبس الأمر على بعض الباحثين نظرا للتشابه الكبير بين لقبي الاحمر والاحمري وخلطوا بينهما وعدوهما لقبًا واحدًا بلا تحرٍ في المعجمات العربية والمؤلفات النسبية، فلقب

الاحمر اعتمادا على المؤلفات السابقة يطلق صفة للرجل الذي في وجهه حمرة ولا علاقه له بالانتماء القبلي ، في حين أن الاحمري واعتمادا على ما ذكره ابن الاثير في اللباب في تهذيب الانساب يطلق في غالب الظن على الرجال الذين ينتسبون الى فخذ الأحمر، ويبدو أن حقيقة الالتباس بين اللقبين يرجع الى الانتماء القبلي لأبان فهو كما اسلفنا من موالي بجيلة والأحمر أحد أفخاذها ، وهنا وقع الاشكال في نسبة أبان، فالمصادر المتوافرة مع أنها أكدت انتماءه إلى بطن بجيلة لكنها لم تذكر انه ينحدر من فخذ الأحمر وهذا ما نميل اليه ونرجحه فلو كان ينتمي أصالة أو موالاة الى هذا الفخذ لأُطلق عليه لقب الاحمري وليس الأحمر، واما ما ذهب اليه السيد رسول جعفريان بأن لقب الأحمر الذي اقترن بأبان له صلة بكلمة حمراء التي كانت تطلق بالقرن الثاني الهجري على الفرس الساكنين في العراق ، وهو من موال الفرس في العراق فهو في الواقع مجرد احتمال ولا نخوض به ؛ لان الكلمة كانت تطلق على الموالي الفرس والروم؛ لان بياضهم كان ناصعًا، وهناك احتمال اخر بان هذه الكلمة كانت تطلق صفة على نصارى بني الاحمر او النصارى الذين دخلوا في الولاء في بني الاحمر، وأيًّا كان المراد في لقب الاحمر الذي اقترن باسم أبان البجلي ، فانه لايمكن انتسابه الى الفرس كما بين السيد رسول جعفريان لافتقاره إلى دليل ملموس ، وقد ذكرت المصادر لقباً آخر وهو لقب الاعرج ذكره تلميذه أبو عبد الله محمد بن سلام البصري (ت٢٣٠) في مواضع متعددة، يقول في مواضع متعددة من طبقاته : حدثني ابان بن عثمان الاحمر الاعرج ، وتحريت عنه في كتاب العرجان والبرصان والعميان والحولان للجاحظ (ت٢٥٥) فوجدت أن أبان بن عثمان الاحمر البجلي كان من ضمن العرجان .

أما ولادته فالمصادر التي ترجمت لأبان على كثرتها لم تزودنا بشيء عن تاريخ ولادته ، ولكن حددت مكانين لولادته :الأول هو الكوفة والثاني هو البصرة ،ونحن تابعنا شيوخه الذين أخذ منهم العلم ليساعدنا في الوصول إلى السنة التي ولد بها فأحد أقدم شيوخه وهو عبد الله بن شريك العامري المكنى بابي محجل كوفي النشاة والسكن، يحتمل على أبعد تقدير أنه توفي نهاية العقد الثاني من القرن الثاني الهجري ، ويحتمل أن ابان قد سمع الحديث منه اما في عقده الاول او منتصف عقده الثاني في أبعد احتمال ، أي كان عمره ١٠ او ١٥ سنة ، ويذكر الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال أن هذا العمر يمكن أن يسمع فيه، وهي من الأمور المالوفة أي أن السمع في مثل هذه الاعمار كان معهودا والعمدة على من يدون لهم طبقة السماع ، واذا ما صحت رواية أبان بن عثمان عن عبد الله بن شريك العامري وهو ما نرجحه ، فان ولادة ابان اما في سنة ١١٠ هجرية وإما سنة ١١٥ ، وضعت هذين الاحتمالين ، وما يؤيد ذلك الشيخ الذي تتلمذ على يده أبان هو الشيخ ابان بن تغلب بن رياح الربعي المكنى بابي سعيد (ت١٤١) .

أما مكان ولادته فمختلف فيه أيضا ، وحددنا مكان الولادة بين الكوفة والبصرة ، فمنهم من يرى أنه كوفي الأصل والولادة ،وكان يسكن الكوفة تارة والبصرة تارة أخرى، وهذا رأي الشيخ الطوسي ، في حين يرى الآخرون انه بصري سكن الكوفة ، ويبدو أن الأول هو الأكثر احتمالية لسببين أن قبيلته كانت تسكن الكوفة ، والثاني: أن جلَّ شيوخ أبان بن عثمان الأحمر البجلي كانوا كوفيّ الولادة والنشأة.

ولم تسعفنا المصادر بشيء عن حياته الأولى

شأنه شأن كثير من علماء الامة لكنه عاش في بيئة خصبة وهما البصرة والكوفة ، ويعدان آنذاك من اهم مراكز الثقافة والعلم فضلا عن انهما مراكز استقطاب ثقافي ، وفي البصرة والكوفة نهل ابان أكثر مصادر ثقافته الاولى وتحدد مسار حياته .

اما اسرته فليس لدينا معلومات كاملة ،وهناك نصان فقط أوردهما ابن سلام الجمحي تلميذه ، النص الأول يتعلق بسلسلة إسناده : عن ابان قال حدثني: ابي ، فكان ابوه من ضمن الذين أخذ منهم الحديث ، وفي رواية أخرى وجدتها في كتاب الثقات لابن حبان البستي قال: عن كريم بن حازم البجلي عن أبان ابن عثمان الأحمر كان يروي عن علي ابن ابي طالب ﷺ. هاتان الاشارتان تؤشران على ان ابان ينحدر من عائلة فقهية لها توجهات ثقافية ودينية أتاحت له فرصة كبيرة جدا للقاء الامام جعفر الصادق ﷺ في الكوفة ، وفي رحلات علمية ذهب الى المدينة ونهل من علم الامام ﷺ وأخذ منه الاحاديث الشريفة في مختلف أبواب الفقه فضلا عن عشرات الروايات المتعلقة بالسيرة والمغازي، وذلك ما يميز رواية أبان أن جلها مأخوذ عن الامام الصادق ﷺ ، بعد ذلك ذهب برحلات علمية لطلب العلم من الامام الصادق ﷺ في المدينة ،وأخذ يحضر حلقات أصحاب الامام وكذلك أصحاب الامامين الباقر والصادق ﷺ فتسلح بهذه الثقافه ثقافة البيت النبوي .

أما عن عصره فهو عاش في عصر كان فيه الكثير من الاحداث، إذ شهد سقوط الدولة الاموية التي انتهت سنة ١٣٢ للهجرة وكانت نقطة تحول كبرى في تاريخ العرب وحدثت متغيرات جذرية في جميع المؤسسات الادارية والسياسية والثقافية.

أما محل إقامته او ولادته الكوفة فكانت مهمة جدا في تقويض الحكم الاموي وفي إسقاطه فهي على مدى سبعة عقود من الزمن كانت تمثل بيئة خصبة لجل النشاطات السياسية المعارضة للسلطة الاموية ،وكان للعلويين ومناصريهم أثر في اذكاء الشعور المعادي للامويين لا سيما بعد استشهاد الامام الحسين ﷺ ، إذ قادوا اكثر من ثورة كثورة التوابين وثورة المختار وغيرها ، وعلى الرغم من اخفاقها في إنهاء الحكم الاموي لكن كان لها شأن كبير ، واستندت الى قاعدة جماهرية واسعة ، وأخيرا الثورة التي قادها الامام زيد بن علي سنة ١٢٢ للهجرة، واذا كان الأمويون نجحوا في إخماد هذه الثورات فإن الكوفة ظلت تشكل مصدر قلق لهم حتى سقوط دولتهم ١٣٢ للهجرة . اما في الحقبة العباسية فقد عاود العلويون نشاطهم مرة أخرى لاسيما الحسنيين وكان له نشاط واضح لا نريد الخوض فيه أكثر، والكوفة كانت ساحة عسكرية بين العلويين ومناصريهم من جهة والعباسيين من جهة أخرى، المهم أحداث سياسية هيمنت على عصره ، والذي أريد ان أصل اليه ان ابانًا تحصل من العلم ، وأخذ يبرع فيه خاصة الفقه في أيام العرب وفي السيرة النبوية .

وهناك نقطة مهمة جدا أثارها ابن داوود الحلي (ت ٧٠٥) وابن مطهر الحلي (ت٧٢٦) وهي أن ابان كان ينتسب الى فرقة الناووسية ، والعالمان الحليان من كبار العلماء ، أثاروا تهمة خطيرة بحق أبان بن عثمان البجلي ، وهذا الطعن قديم خمد في حينه لكن العلماء بعد ٣٠٠ سنة أو اكثر بدأوا يحاولون اثارة التهمة من جديد. لكن من الذي اتهم ابان بهذه التهمة؟ عندما نظرت في كتب الرجال لابي عمرو الكشي (ت ٣٣٠) وجدته يقول : كان أبان ينتسب الى الناووسية وهي فرقة من

فرق الشيعة ظهرت بعد وفاة الامام الصادق ﷺ، وزعمت أن الامام الصادق ﷺ حي لم يمت وسيكون هو الامام الذي سيظهر فيما بعد ،هذا الموقف لابن مطهر وابن داود جُوبِه برفض شديد من علماء الحديث ورجال الشيعة، وقد ساق بعضهم الكثير من الدلائل التي تنفي التهمة عن أبان، ولخطورة التهمة هذه على موثوقية أبان ومصداقيته في سرد الحديث فان الخوض في هذا الجانب مهم جدا . المشكل هي رواية الكشي نفسه ، ولنا عدة نقاط لمناقشة هذه التهمة :

أولا: إن ما زُعِم من انتساب أبان للمذهب الناووسي لم يرد الا في رواية واحدة لأبي عمر الكشي فقط ،وجاءت من طريق شيخه محمد بن مسعود العياشي في تفسير العياشي (ت ٣٢٨) الذي أخذها من طريق شيخه علي بن الحسين بن فضال ، وهذا كاتب من كبار علماء الشيعة وكان فطحيا وقطعيا،وكان له كتاب في الرجال وكان يكره أبان ، وذكر ذلك محمد بن مسعود العياشي ، قال حدثني علي بن الحسين ﷺ بن فضال، قال: كان ابان بن عثمان الاحمر من اهل البصرة وكان مولى بجيلة، وكان يسكن الكوفة من الناووسية ، فالقدح بأبان لم يكن من الشيخ الكشي ولا من العياشي ولكن من ابن فضال ؛وهذا الأخير بإجماع جل علماء الجرح والتعديل الشيعة مقدوح في مذهبه ؛ لانه أفطحي ولأنه كان له موقف سلبي من ابان وكان يفضل عليه رواة اقل شهرة منه ، إذن أبان ليس مظلوما من الباحثين فقط بل من علماء المذهب نفسه، أقول : إن أبان من الستة الذين نأخذ منهم نحن الأمامية ، وابن فضال جرح عددًا غير قليل من الرواة الشيعة فاتهم علي بن الحسين واتهم ابن المكاري بالكذب وهم جميعهم من جملة الواقفة وطعن بابن أعين وطعن بالكثير من العلماء وذهب قوم إلى أن كلمة الناووسية تصحيف

والصحيح قادسية ، وهذا ليس صحيحا ولا وجود للتصحيف .

فقد رجعت إلى ترجمة الشيخ الطوسي في كتابه اختيار معرفة الرجال،وهذا الكتاب أوصلنا إلى كتاب الكشي الضائع (كتاب الرجال) فلم أجد فيه كلمة قادسية انما ناووسية؛ إذن لا تصحيف في كلمة ناووسية، ورجعت كذلك إلى كتاب آخر اعتمد على الكشي أيضا للتثبت من ذلك وهو المسمى التحرير الطاووسي، المستخرج من كتاب حل الإشكال في معرفة الرجال للشهيد الثاني فلم اجد كذلك شيئا يخالف ما ذكرت .

إن رأي الكشي يناقض رأي الامامية في أبان بن عثمان ، فان روايته في الحديث موثوق بها ،ويعد من الفقهاء أصحاب الاجماع الذين اتفقت آراء مشايخ علماء الامامية على تصحيح ما يصح عنهم ، والاقرار لهم بالفقه والعلم والفضل فهو من الستة علماء الذين أقر لهم بذلك ،ومما يجعلني أنفي التهمة عنه، هي روايته عن الامام الكاظم ﷺ فلو كان ناووسيا لم يقر بالامام الكاظم ﷺ .

أما وفاته فلم يرد شيء عن ذلك إلا ما ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان إذ ذكر ان وفاته ٢٠٠ هجرية ، ورجعت إلى كل مصادر ترجمة العسقلاني لأبان إذا إنه اجتزئ حرفيا نصوص الترجمة من ترجمة من ضعفاء العقيلي ومعجم الادباء ورجعت إليها فلم أجد شيئا عن وفاته ؛ لذا اتحفظ على هذا التاريخ .ولو كان أبان حيا آنذاك سنة ٢٠٠ هـ لكان قد اخذ عن مجالس الامام الرضا ﷺ؛ لانه كان دائم الحضور لمجالس الائمة، ومن خلال متابعة تلامذته الذين أخذوا منه ورووا عنه مشافهة وسماعا نجد أن الأقرب أن تكون وفاته في سنة ما من العقد السابع من القرن الثاني الهجري.

وأما مؤلفاته فلم يكن مكثرا لكنه كان ذا ثقافة عالية جدا بايام العرب والاشعار والسيرة النبوية والاحاديث ، فقد ذكروا له أصلا ، وهو الأصل الخامس من بين ٤٠٠ أصل كتبها مدونو الامامية ، والأصل هو كتاب في الحديث يماثل في دواعي تصنيفه المساند والصحاح والجوامع غير انه لا يشترط فيها الترتيب الموضوعي ، وفي هذا الأصل جمع الاحاديث اما عن الامام المعصوم او عن من سمعه ، وانما سمي أصلا دلالة على أن ما جمع أخذ عن أصل أصلي غير متفرع ، إذن كان ابان هو الخامس من الذين لهم أصل من أصول الشيعة ونقل سماعا عن الامام المعصوم او عن من سمعه، وهذه الحسنة الكبيرة التي لم يُرَكز عليها، وقد ذكر هذا الأصل الشيخ الطوسي وأخذ منه روايات واعتمد عليه الشيخ الكليني في الكافي ، والشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه ،والشيخ الطوسي في كتبه الاستبصار وتهذيب الاحكام .

ويبدو أن لديه كتابا في اخبار العرب والأيام والانساب ؛ لان اغلب تلاميذه هم رواة في أخبار العرب وأنسابهم لكن لم أجد إشارة إلى ذلك في فهارس المؤلفين ومعاجمهم ، ولعله نعثر على إشارة إلى ذلك فيما بعد ؛ لان اثنين من كبار تلامذته لهم باع طويل في هذا الجانب ، فقد تتلمذ على يديه أبو عبيده معمر بن المثنى (ت ٢٠٧هـ) وابن سلام الجمحي أيضا .

ومما ذكر له من مصنفات : كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة ، هو في الأصل كتاب واحد في ستة اقسام ذكرها الشيخ الطوسي في فهرسه والنجاشي في رجاله ، وقد فُقِد هذا الكتاب في القرن السابع الهجري ، ولولا إشارة الشيخين لجهلنا حتى عنوانه ، وهذا الكتاب كما يظهر من عنوانه قد عني بالمنهج المتبع عند كتّاب المغازي وهنا أؤكد الريادة فمنهجه وهو

المنهج نفسه الذي استعمله ابن اسحاق من حيث وضع خطة الكتاب وتقسيم المادة التاريخية التي اشتمل عليها ، يحمل كل باب عنوانا مستقلا ويتناول حقبة تاريخية محددة .أما في المبدأ فقد تناول أبان كما يلاحظ من الروايات المروية ، تاريخ الخليقة ونزول ادم واخبار الأنبياء ولاسيما اولي العزم، أما في المبعث فقد عني بذكر الاخبار التي تبرز دور بني هاشم فضلا عن كل ما يتعلق بحياة الرسول في الحقبة المكية بدءًا من ولادته وحياته قبل بعثته وبعثه والدعوة في مكة ، وتناول في القسم الثالث وهو المغازي الدعوة الاسلاميه في المدينة ومغازي الرسولﷺ وسراياه، وتبين أنه خصص قسما مستقلا عرض فيه وفاة الرسولﷺ ونحن لم نحظ برواية واحدة منه ، اما القسمان الآخران وهما السقيفة والردة فان ابان خصصها للاحداث التي تلت وفاة الرسولﷺ.

هنا نقول بعض من كتاب المغازي قد سلكوا هذا المسلك أيضا أبرزهم محمد بن إسحاق بن يسار، وهذا لديه كتاب معروف سيرة ابن إسحاق، وقد هذبها ابن هشام وقسمها ثلاثة اقسام المبتدا والمبعث والمغازي،وتناول في القسم الأول بدء الخلق وتاريخ الأنبياء والرسالات السماوية ،اما في الثاني فعرج على الحقبة التي سبقت حياة الرسولﷺ ثم بعثته والدعوة في مكة ، اما الثالث فخصص لحياة الرسولﷺ في المدينة وغزواته ، إذن هناك تشابه في المنهجين واختيار العناوين ،فهل نسخ أحدهما منهج الاخر؟ انا لا اعتقد ذلك فمنهج تنسيق المغازي كان معروفا عند أغلب من صنف في المغازي، وأول من سلك هذا هو وهب بن منبه الصنعاني (ت ١٠٥) ، ووجدوا قطعة من كتابه نشرها عبد العزيز الدوري ،ومن جهة أخرى فانه على الرغم من تشابه منهجيهما إلا انهما اختلفا في المحتوى وأسلوب عرض الروايات والمصادر التي

اعتمدوا عليها ، فابان بن عثمان الاحمر كما أكدت الرواية الباقية عنه قد اعتمد على الروايات الواردة عن اهل بيت النبي عليهم الصلاة والسلام ولاسيما ما سمع عن الامام الصادق عليه السلام ، ونهج أسلوب المحدثين في عرض الورايات، أما ابن إسحاق لم يكن لديه أسلوب المحدثين بل نهج أسلوب القصصاصين وجمع في المبتدأ بين أساليب الروايات الاسرائيلية واستعمل الشعر وتساهل كثيرا في السند .

وقد يتحفظ بعض الدارسين على عقد موازنة بين مغازي ذاع صيتها ومغازي مغمورة مثل مغازي ابان ، ونحن لا نريد في هذه الدراسة الموازنة بل نريد توضيح ثلاثة أمور أولا: هناك معاصرة زمانية ومكانية بين ابان بن عثمان الأحمر ومحمد بن إسحاق فهما من الكوفة، وأيضا هما في سنة ما في العقد الرابع ؛لان أبا جعفر المنصور عندما التقى بابي اسحاق بالكوفة في الحيرة كان ذلك قرابة ١٤٠ وفي الوقت نفسه بدأ ابان يكتب السيرة، وهذه اهم نقطة لدي اذا ما تاكدنا من هذه المعاصرة الزمانية المكانية بين أبان بن عثمان الأحمر الشيعي ومحمد بن إسحاق الذي أيضا يقال لديه ميول شيعية أيضًا .

ثانيا هما نتاج مرحلة واحدة تاريخية، وهما من جيل واحد ؛ لانهم يمثلون الجيل الثالث من كتّاب السيرة النبوية حسب التقسيم الطبقي لرواد السيرة لذلك هما نتاج مرحلة واحدة وكل منهما كتب بطريقة وأسلوب يختلف عن الأخر.

ثالثا: إن ابان ليس كما يعتقد البعض أن سيرته مغمورة وغير معروفة، فقد احتج بها كثير من الفقهاء وكتاب المعازي والطبقات والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين ، لكن السؤال المهم هنا لماذا هيمنت رواية مغازي ابن إسحاق المعروفة التاريخية ،

وصارت الأساس فيما يكتب ويدون عن حياة النبي ومغازيه في الواقع ؟ في الوقت الذي لايمكن التشكيك في المكانة العلمية والتاريخية الفذة التي بلغها ابن إسحاق في هذا اللون من الكتابة وما قدمه من إسهامات نوعية في الكتابة فانه لا يمكن تجاهل الدعم السياسي والإعلامي الذي قدمته الخلافة العباسية له ولمغازيه وأكدت الروايات انه التقى بالخليفة المنصور وسلمه نسخة من مغازيه ، ومن المحتمل ان الخليفة المنصور عندما اطلع على تلك المغازي أمر بنسخها وتوزيعها على الأمصار ، ومن المحتمل أن تلامذة ابن إسحاق استفادوا من هذا الدعم في نشرها في مجالس الفكر ، وفي المقابل لم تحصل مغازي أبان على فرصة كبيرة للتداول لتبقى محدودة التداول بين تلامذته وبعض علماء عصره ، والنقطة الأخرى التي استفاد منها هناك مصادر انتفعت من كتاب ابان وهي كثيرة ،فمن المصادر اعتمدت على ابان بن عثمان الأحمر الطبقات الكبرى لابن سعد فقد صرح بأبان البجلي في أكثر من راوية بينما لم يصرح بأبان بن عثمان بن عفان.

النقطه الأخرى: تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢) في الجزء الثاني ذكر في المقدمة أنه أخذ عنه وياتي عبد العزيز الدوري لينفي أن يكون هذا أبان البجلي ويثبت ذلك لابان بن عثمان بن عفان ،وبذلك يحدث الدكتور اضطرابا في الكتابة التاريخية ويزيد بها مكانة أبان بن عثمان بن عفان، ويعده أول مدوِّن تفسير في التاريخ العربي الإسلامي .

ومن المصادر التي نهلت من سيرة أبان بن عثمان البجلي :تفسير العياشي، وضعفاء العقيلي ،وتفسير القمي ،وشرح الاخبار، وعلل الشرائع ، والأمالي ، إعلام الورى باعلام الهدى

، مناقب آل أبي طالب، ومعجم البلدان فكثيراما نقل منه ياقوت ويسميه صاحب المغازي ، والثاقب في المناقب ،وقصص الأنبياء ، هؤلاء كلهم ذكروه ونقلوا منه .

مما تقدم يظهر جليا لنا أن ابان بن عثمان بن عفان لم يكن رائد علم المغازي كما يتردد دائما عند كل من بحث في أصل الرواية التاريخية الاسلامية ،وكأن ذلك اصبح من الحقائق الثابتة المسلم بها؛ لذلك ينبغي اعادة هيكلة ريادة علم المغازي بما يتفق والحقائق التي أثبتتها الدراسة وهي تؤكد أن كاتب المغازي هو أبان بن عثمان الاحمر البجلي المعاصر زمانيا ومكانيا لمحمد بن إسحاق لكنه لم يحظ باهتمام الباحثين المحدثين ، فعلى الأقل يجب أن يوضع ضمن مدوني السيرة او كتّاب المغازي ، وذلك لأنهم خلطوا بينه وبين ابان بن عثمان الذي أُعطي اختصاصا تاريخيا ليس لديه اسهام فيه .

التابعة
بعنوان :
ان الاحمر
ي المحترم
الدراسات

كربلاء المقدسة - مجمع الكفيل الثقافي - حي الاصلاح

٣ الندوة الثالثة

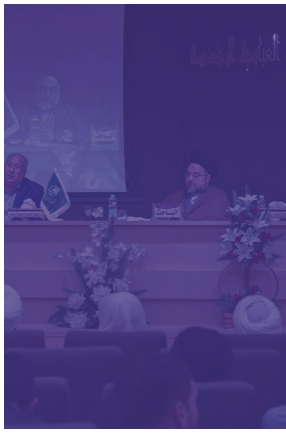

- ديمومة الاقتداء واستمرارية التأسّي بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله
- العلامة السيد محمد علي بحر العلوم
- يوم الجمعة الموافق 2018/11/23م
- في العتبة العباسية المقدسة قاعة الإمام الحسن عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يصف أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وسرّة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة، طبيبٌ دوارٌ بطبِّه، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي وآذان صمٍّ وألسنة بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة.

لاشك أن اهتمام الأمم بتاريخها أمرٌ معروف ومشهود له، فالأمم تحتفظ بتاريخ حضاراتها التي أُنشئت على أرضها وتفتخر بها، وتسعى إلى تأكيد انتمائها إلى ذلك التاريخ وتلك الحضارات، ولكن ما امتازت به الأمة الإسلامية هو تتبعها لسيرة رجالها وسيرة قادتها، فتكتب ما فعلوه وحركاتهم وسكناتهم وأفعالهم في السلم والحرب، في السراء والضراء، هذه السيرة التي أصبحت معلماً مهماً من معالم ثقافتنا الإسلامية، والسر في ذلك يعود إلى الموقع المتميز الذي جُعل لهؤلاء القادة؛ فهم لم يكونوا قادةً لفئة معينة من الناس، ولا في زمن خاص بهم، وإنما قيادتهم وتعاليمهم ممتدة عبر الزمان والمكان، من هنا كان الاهتمام متوجها إلى قراءة هذه السيرة ونشرها ومعرفتها ودراستها؛ لأنها تبين الصورة للأجيال، وكما يكون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أسوة وقدوةً لمن عاصره، فهو قدوة وأسوة لمن آمن به على مر التاريخ، فيجب على الجميع أن يقتدي به.

ولم تكن حياته خاصة به، وإنما كانت حياته كلها من أجل نشر هذه الرسالة ونشر تعاليم السماء، من هنا كانت تصرفاته تحكمها حكمة إلهية خاصة، ومنطق معين وتصرفات منطقية، بحيث تكون كل هذه التصرفات خاضعة لمبادئ خاصة، وهذه المبادئ والقيم باقية كما هي، قبل البعثة، وبعد البعثة، قبل الهجرة، وبعد الهجرة، قبل تشكيل المدينة المنورة، وبعد تشكيل المدينة المنورة، سواءً كان عدد المؤمنين به عشرة أم كان آلافا. فالقيم والمبادئ واحدة، وبساطة الحياة والتواضع والصفات الخلقية التي يتصف بها النبي الأكرم ﷺ هي واحدة تبقى طيلة هذه الفترة، وطيلة هذه التغيرات كلها.

هذا الذي قد يعسر وقد لا نجده في كثيرٍ من الساسة والقادة على مر التاريخ؛ لأن الشخص يختلف، عندما يختلف الموقع يتغير الخلق، وتتغير التصرفات، ويبدأ الجبروت، وقد ينزع عنه لباس التواضع والزهد وما شابه؛ لذلك تبقى هذه السيرة حاكية لنا كيف يمكن أن يحكم المنطق السليم والتعليم الديني الإلهي، كيف يمكن أن يحكم الإنسان في كل هذه المواقع المختلفة، سواء كان في البيت أم في المسجد ، وسواء كان في ساحة الحرب أم في موضع الإرشاد والتبليغ، في أي موقع من هذه المواقع يبقى هو على حدٍ سواء، ويبقى المنطق ذات النطق، وتبقى الصفات ذات الصفات التي تحكم هذا الإنسان.

من هنا كانت أسوة الرسول الأكرم ﷺ وقدوته للناس كافة هي المعلم الأساسي الذي يجعلنا نتتبع هذه السيرة، ونتتبع هذه الخطوات، ولكن – للأسف الشديد – لم تكتب هذه السيرة في حياته، ومنع كتابة الحديث وكتابة سيرة النبي الأكرم ﷺ في طيلة قرنين من الزمن تقريباً كان هو الحالة السائدة في المجتمع

الإسلامي، وبعد ذلك كتبت، ونالها ما نالها من الحيف، ونالها ما نالها من الوضع، الذي سيهذب إن شاء الله بهمة الإخوة القائمين على دار الرسول الأعظم ﷺ، وغيرهم من العلماء الذين بذلوا أنفسهم وفكرهم من أجل تحرير هذه السيرة وإخراج الموضوع منها، وتميز الصالح عن غيره.

التاريخ يمثل لنا ثروة، وهذه الثروة تمثل لنا حكاية مواجهة نحتاجها دوماً، ونحتاجها على طول التاريخ، وعلى طول الزمان؛ لأن صراع الحق والباطل ليس صراعاً مقتصراً على فئةٍ دون فئة، على زمن دون زمن. عندما نأتي إلى حياة النبي الأكرم ﷺ ومراحل دعوته كمثال، نراه ينتقل من الدعوة الخاصة السرية إلى العلانية، الإقناع والمحاورة هو الأساس التي ابتنت عليه الدعوة، الهجرة إلى المواضع الآمنة هي أيضاً إحدى صفات الحفاظ على سلامة المؤمنين، المواجهة عندما يحين وقتها، الإعداد والتهيئة لهذه المواجهة؛ لذلك فهذه الحياة وهذه السيرة للنبي الأكرم ﷺ كانت مثار تساؤل: كيف لنا أن نتبع النبي ﷺ ونتخذه قدوة؟ ، وكيف لنا أن نقف إزاء هذه السيرة؟ .

عندما نعود إلى مجتمعنا الإسلامي المعاصر، وأقصد بالمعاصر الخمسين أو الستين سنة أو المئة سنة الماضية، برز هناك موقف في فهم هذه السيرة يتمثل بعنصر التبجيل والتعظيم للسلف الصالح، وان أفضل القرون هم أهل القرون الأولى، وبالتالي فالقيمة الحقيقية هي لهم، ويجب على المسلمين كافة أن يتمثلوا حياتهم، وأن يعيشوا حياتهم، وأن يقوموا بما قاموا به، وأن يتصرفوا كما تصرفوا هم، فكان هذا يعني أننا يجب أن نطوي تلك السنوات، ونعود بمجتمعنا المعاصر إلى ذلك المجتمع في القرنين الأول والثاني الهجريين.

وقد سبَّبَ ذلك هجرة كثير من العقول المسلمة التي لم تتقبل مثل هذه الدعوى، وكانت هناك دعوات إلى التغرب في الفكر، وإلى أن تكون هناك قطيعة بين التراث الديني، وواقعنا المعاصر، أن نعود بإنسان القرن العشرين إلى الوراء ليعيش القرن التاسع والعاشر الميلاديين، أن نعود ليكيف الإنسان نفسه الآن على تلك الحالات السابقة. وقد أصابت كثيرا من الباحثين ومن المسلمين صدمةٌ نتيجة هذه الطريقة وهذا الموقف من السيرة؛ لذلك كانت هناك الدعوات إلى إيجاد قطيعة مع الدين، وأن يكون الدين أمراً معنوياً يحكم علاقة الإنسان بربه، أما الحياة فهي بعيدة عن الدين، ونصوغ حياتنا بما ترتئيه عقولنا وأفكارنا، ونديرها بالشكل المناسب لنا، وبما يناسب وضعنا المعاصر، وألا نلتفت إلى الوراء، ونجعل أعيننا دوماً إلى المستقبل وإلى التقدم، ويحاكون بذلك تجربة الغرب في علاقتهم مع الدين.

في قبال هذا التوجه وفي قبال هذه الرؤية كانت هناك رؤية خاصة هي رؤية أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذه الرؤية التي تبتني على أن موضع القدوة والأسوة يستمر طيلة قرنين من الزمن، يبدأ في شخصية النبي الأكرم ﷺ ويستمر في خلفائه الاثني عشر، مما يعطي صورة عامة عن تلك السنن وتلك الحالات التي ترتبط بالزمان والمكان، وتلك القيم والمبادئ والمثل التي تعبُرُ الزمان والمكان، هذه الرؤية تدفع إلى أن قراءة السيرة يجب أن يتميز فيها ما يرتبط بزمانه، وآلات ذلك الزمان وأدواته، وبين المبدأ الذي يكون قابلا للاستمرار، التنظيف واستعمال المسواك وهو مثال بسيط جداً، هل المحور هو استعمال هذا المسواك الذي من الشجر؟ ، هو الذي تبنى عليه محورية الاستنان

بسنة النبي الأكرم ﷺ؟ ، وهل استعمال ذات السواك هو الذي تبنى عليه هذه السنة؟ ، ويبنى عليه هذا الاستحباب؟ ، أم أن المراد هو التنظف وأن تكون هناك نظافة ترتبط حتى بنظافة الأسنان وما شابه ذلك؟ ، أين يكمن الاستنان ؟ ، أين يكمن الاتّباع؟ ، هل الاتّباع بنفس الأدوات والآليات المرتبطة بذلك الزمان ؟ ، أم أن الاتّباع والأسوة يمكن أن يتجاوز تلك الآلية؟ ؛ لذلك كان هناك اتّباع شكلي، كان هناك اتباع ومحاولة لاتباع ذات الآليات والأدوات التي أوجبت المشكلات التي رافقت الموقف الأول أو النظرة الأولى.

مبدأ أهل البيت (عليهم السلام) واستمرارية القدوة والأسوة الحسنة إلى الأئمة (عليهم السلام)، إضافة إلى ذلك استمرارية فتح باب الاجتهاد، وباب الاجتهاد يعني أن يكون هناك تشخيص يواكب الزمان والمكان دوماً ، تشخيص دائم يفرّق بين المبدأ والأدوات، هناك تشخيص دائم: متى تكون المواجهة، ومتى لا تكون المواجهة. هناك تشخيص في حياة النبي الأكرم ﷺ لم تكن مواجهة الكافرين والحرب معهم خياره الأول، بل كان بعد فترة من البعثة النبوية، فهل يجب علينا عندما نواجه الباطل في حياتنا أن نواجهه بالقتال دوماً؟ ، من الذي يحدد هذه الخيارات؟ ، عندما نأتي إلى أن نستخرج من سيرة النبي الأكرم ﷺ، فتارة الإنسان يقرأ السيرة للعلم بالتاريخ كما يقرأ أي تاريخ آخر، ولكنه يهتم بهذه السيرة ويقرأها، وتارة يريد أن يستنبط منها موقفا، يريد أن يستنبط منها حكماً معيناً، فهنا نحتاج إلى ذلك المتخصص، نحتاج إلى ذلك الفقيه الذي يستطيع أن يستنطق تلك النصوص والمواقف، ويعيِّن للأمة تكليفها والموقف الذي تقفُهُ؛

فلذلك هذه القراءة ضرورية، وليس معنى الاستنان وكونه قدوة وأسوة أننا نستنبط الحكم الشرعي منه ونقول مباشرةً بوجوب هذا العمل أو كراهته أو استحبابه أو ما شابه ذلك؛ لأن العمل عملٌ صامت في بعض الأحيان، لا يمكن أن نكتشف منه مدى إيجاب هذا العمل، وفي أي موقع أو قسم من أقسام الأحكام الشرعية يمكن أن نجعله، ومع تعدد المواقف، ومع تعدد السيرة وكيفية المواجهة، حينئذ نكون امام خيارات متعددة، ولتحديد هذه الخيارات، لتحديد وتطبيق هذه الأسوة والقدوة نحتاج إلى مَن يستطيع استنطاق تلك النصوص وقراءتها وفهمها وإعطاء الحكم الشرعي الواجب فيها؛ لذلك عندما دعت المرجعية الدينية العليا لمواجهة الفكر الداعشي بالقوة، دعت بعد فترة، كانت هناك تفجيرات، وكان هناك عدم استقرار في تلك المناطق، ولكن ساعة المواجهة كانت ساعة معينة، وعندما حانت المواجهة استلهمت المرجعية الدينية العليا أيضاً مبادئ النبي الأكرم ﷺ في مواجهة الآخرين والقتال، فكانت الوصايا العشرون التي أوصى بها المقاتلين بضرورة اتباعها هي ذات الوصايا التي كان رسول الله ﷺ يوصي بها جنوده عندما يرسلهم في سرية أو قتال: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأةً ولا تقطعوا شجراً ... الخ.

إذاً هذا يمثل مبدأ النبي الأكرم ﷺ في كيفية المواجهة، وهذا المبدأ باقٍ ويتطور أيضاً مع الزمان والمكان، بحيث جاء في زماننا هذا وأصبح القانون الدولي الإنساني لحماية الأبرياء في زمن الحروب، وإن اتخذ شكلاً آخر وعنواناً آخر، لكن

هذا المبدأ هو قائم من ذلك الوقت ومن ذلك الزمان، استنطقه الفقيه في كيفية القتال، وفي كيفية دفع المقاتلين نحوهم؛ لذلك نعود ونقول: رسول الله ﷺ كما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام طبيبٌ دوارٌ بطبه، يبحث عن مواطن الغفلة، مواطن الحيرة، يعطي الدواء المناسب، من يحتاج مرهماً فله المرهم والدواء، ومن يحتاج الكيَّ أيضاً أحمى مواسمه في قلوب عمي وآذان صم وألسنة بكم، في بعض الأحيان هذه القلوب وهذه الآذان وهذه الألسن تتجاهل الحقيقة، أو تنحرف عن الطريق، فتحتاج إلى من يوقظها، وتحتاج إلى من يرشدها إلى الطريق، كان رسول الله ﷺ ذلك الطبيب الذي في حياته كان معلماً في كل ساعة من ساعاته، يقوم بدور المعلم والمربي والمرشد.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في أن نسير على خطى نبينا الأكرم ﷺ، وأن يوفق القائمين على هذا المؤتمر لعرض سنة النبي الأكرم ﷺ وسيرته بأزهى حلة، وإطلاع الآخرين على حقائق هذه السيرة، ومحو ما زيفه الوضاعون والمدلسون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الباحث
رئيس الجلسة
الباحث

الله اكبر

٤

الندوة الرابعة

- (أسباب نجاح المشروع النبويّ)
- سماحة العلامة السيد أحمد الاشكوري
- يوم الجمعة الموافق 2018/11/23م
- في العتبة العباسية المقدسة
  قاعة الإمام الحسن عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله في كتابه الكريم: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))(الأعراف:١٩٩)، وقال تعالى أيضا: ((وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ))(الشورى/ ٤٣) ، في فقه التزاحم تتقدم ثلاثة محاور وهي: الإله، والعالم المادي، والإنسان، ونحن بحاجة في كل من هذه المفردات الثلاث لدراسةٍ مفصلة، وقد تتولد المدارس الفكرية والسلوكية والروحية على أساس هذه المفردات الثلاث، في الوقت الذي نحن فيه بحاجة إلى إشباع هذه المحاور الثلاثة، أعني الإله، وخصوصية الإله في دائرة المضمون، وفي دائرة المعرفة، كذلك نحن بحاجة إلى تقديم منهج تام وواضح؛ لئلا نُبتلى بالانكماشية والانزوائية، عندما لا نقدم رؤية واضحة وصحيحة حول العالم المادي وكيفية استثماره.

فقد سقطت مدارس عندما لم تكن موفقة في تفسيرها للرؤية الواضحة في العالم المادي من حيث المنهج، ففي بعض الأحيان يتقدم المنهج الغيبي على المنهج المادي في تفسير الظواهر المادية، وهذا مما لا ينبغي له أن يتفق، كذلك لا بد أيضا من تقديم دراسة وافية في حقيقة الإنسان، وماهي هذه الحقيقة، هذه الأعجوبة وهذه المفخرة التي تباهى بها الله (عز وجل) على الملائكة بهذا المصنوع العجيب الغريب الذي عاش بين أفق يحقق الهدف، وأفق آخر يبعدنا عن الهدف، ماهي حقيقة هذا الإنسان؟ .

ولا بد أيضا من تقديم دراسة أخرى في كيفية التماسك بين هذه المفردات الثلاث، ولعل هذا الأمر أصعب بمراتب من المرتبة الأولى. قد يمكن أن نقدم مضمونا في دائرة الإله، وأن الإله ليس كمثلِهِ شيء، أو لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، ونقدم رؤية في صفات الباري (عز وجل) بنحو متماسك متكامل، على أن لا تكون هناك صفة غالبة على الصفة الأخرى؛ لئلا نفرُّ من المطر إلى الميزاب، ونقع في الأزمة عندما لا نقدم لوحة متقدمة كاملة متناسقة منسجمة، والخطر في هذا ظاهر بوضوح، كما لابد أن نقدم دراسة وافية في العالم المادي، وكيفية استثمار هذا العالم المادي، برؤية توحيدية، وبرؤية موضوعية، ولا بد أن تكون لنا بضاعة تضاهي البضاعات العالمية التي تنزل الآن في الأسواق، وفي عالم التنافس يصعب على المشتري أن ينتقي البضاعة الأمثل عندما تكثر البضاعات.

نعيش اليوم وهناك مطروح في السوق من أفكار ورؤى ونظريات، ولابد أن نقدم رؤية كاملة؛ حتى تستطيع أن تكون منافسةً للمدارس الفكرية الأخرى. ما يرتبط بحقيقة الإنسان نحن نعتقد بنحو مختصر وبنحو الإيجاز لا بنحو الحصر أن الإنسان يعيش في محاور ثلاثة هي الأهم في شخصية الإنسان، بعيدا عن فلسفة أن الإنسان مركب من مادة وروح، أو أنه عبارة عن حقيقة الروح دون حقيقة المادة وأن المادة ظلّ في هذه الروح، أو بالعكس، بعيداً عن كل هذه الجدليات المقرفة التي ربما تكون مثالية مبعّدة عن

الهدف، لا مقربة إلى المقصود الرئيسي.

الإنسان هو الوعي، الإنسان هو الاختيار، الإنسان هو الإبداع، ومن هنا نحن نطالب الإنسان بمشروع لابد أن يعيش بين أفقين، بين أفق الطموح والغاية، وبين النجاح، فعندما ندرس أي شخصية في العالم لابد أن يكون مدُّ النظر في الميزان: ماذا حققه من نجاح؟ . ينقسم الإنسان من حيث ذلك على أقسام ثلاثة: بعض منهم لا يملك الإ هدفا قصيراً، يهمه هدف اليوم، ويقدم مشروع اليوم، ويرتبط في نجاحه بما يكتسبه من نجاح لهذا اليوم، لا نظر له إلى المستقبل، ولا نظر له أن يقدم شيئا إلى الإنسانية جمعاء. وهناك رأي آخر، هناك نموذج آخر من الإنسان، الإنسان الطموح، لكنه يكون مثالياً لا واقعياً، يقدم غايات بعيدة المنال، من دون أن يملك وسائل لتحقيق تلك الغايات، فهو أقرب إلى الحلم، وإلى من يرى المنام ممن هو ينظر إلى الواقع، أو من ينظر إليها بنظرية الواقع. وهناك شخصية ثالثة في هذا الإنسان العجيب، وهو الذي يكون قد قرأ المستقبل قراءة دقيقة، وقدم المشروع الذي يمكن أن ينفذ ويمكن أن يطبق، ويكون بعيداً عن كل الطوبائيات، وينجح في هذا المجال، ويقدم نجاحاً باهراً في هذا المجال.

صفحة التاريخ حدثتنا عن رجال من النموذج الثالث عاشوا وقدموا أطروحة للنموذج الثالث، فكانوا بمستوى أن يقنعوا، لا يقنعوا جيلا فحسب، وإنما يقنعوا أجيالاً، لا ينظرون إلى إقناع فردٍ أو مجموعةٍ أو طائفة محكومة ببعد مكاني أو بعد زماني، إنما يمتد نظرهم إلى أن يقنعوا

الأمم بأسرها، وأن يخاطبوا الحضارات وإن كانت تعيش بآليات ضعيفة، فتحدث النبي ﷺ وهو في بداية النشأة إذ وجه الخطاب إلى كسرى، وإلى ملك الروم، وهو على ثقة تامة بمضمون حديثه بأنه خطاب سيصل المسامع إلى قيام الساعة، هذا النجاح الباهر لشخصية النبي الأكرم ﷺ لا بد أن ننظر إليه من زاويتين: الزاوية الأولى أن هناك مدارس لم تكن موفقة في قراءة شخصية النبي الأكرم ﷺ، وتلك مسؤوليتنا، مسؤوليتنا من جانبين، أولاً لأجل أن نتفاعل مع النبي الأكرم؛ إذ إننا قد أُلزمنا بالحب للنبي ﷺ، وحاشا أن يكون المقصود من الحب الحب العاطفي، بل لابد أن يكون ذلك الحب حبّا عقلانيا، فمنّا من يحب ولده لأنه ينتمي إليه فحسب، وهناك من يرغب إلى ولده لأنه يملك كمالات رائعة، ومَن لم يقف على كمالات ولده لا يمكن أن يحب الولد، مَن لم يقف على كمال مشروع النبي الأكرم ﷺ فلا مجال لأن يتفاعل مع النبي، ونبقى في مستوى الحب العاطفي، وحاشا أن نكون قد خوطبنا بأن نرتبط بمدار الارتباط بالنبي الأكرم ﷺ على دائرة الحب العاطفي، وإن سعى بعضهم أن يختصر دائرة الحب إما بمستوى التعظيم، وإما بمستوى الوعي، وإما بمستوى العمل، وجرد مقولة الحب للنبي الأكرم ﷺ، قال: من الممتنع أن يكون هناك حب للنبي الأكرم ﷺ بعد ما كانت مقولة الحب خارجة عن الاختيار، فالعمل تحت الاختيار، الوعي تحت الاختيار، العلم تحت الاختيار، إلا أن الحب ليس تحت الاختيار. أقول: الحب أيضا تحت الاختيار، إلا أن ذلك الحب

هو الحب العقلاني.

فنحن بحاجة إلى أن نرى أن هناك مدارس سريعة ذُكرت في هذا المضمار، هناك ممن يسعى أن يقرأ النبي الأكرم ﷺ بقراءة بشرية، وأن المعطى الذي قدّمه النبي الأكرم ﷺ معطى بشري، واليوم بدأت تنزل الأروقة الفكرية والعلمية هذه النظرية؛ لأجل الحفاظ، ولأجل التواصل مع الحداثة، ولأجل مواكبة العصرنة، ولا سبيل لنا إلى مواصلة العصرنة إلا بأن نجرد النبي ﷺ عن الحالة الملكوتية، وأن نحشر النبي ﷺ بالحالة البشرية، فكان النبي ﷺ بشريا، وكان القرآن بشريا، وكان المعطى معطى بشريا، ولابد من الجمود على بشرية المعطى عندما يكون معطى بشريا بمستوى زمانه ومكانه، وألّا نتسع إلى مستوى أوسع، ولا تكون عملة النبي ﷺ وأفكاره قابلة للتصدير، قابلة للإقناع في داخل البيت أيضاً.

وهناك رؤية أخرى على العكس، حيث ذهبت إلى ملكوتية النبي الأكرم ﷺ والجمود على شخص النبي ﷺ وأنه لا يمكن أن نصل إلى شخصية النبي ﷺ، فجُرِّدَ النبي ﷺ عن كونه قدوة على مستوى العمل، وإنما هو قدوة على مستوى النظرية ليس إلا. فجاءت نظرية أهل البيت (عليهم السلام) الجامعة بين هذا وذاك، ولا زلنا نصِرُّ أنه لا يمكن أن نتواصل بمستوى حوار الحضارات مع الحضارات الكريمة القائمة في العالم، لا يمكن التواصل معها إلا إذا كنا بمستوى أن نقدم النبي الأكرم ﷺ بمستوى ينافس تلك الحضارات، وأن تكون هذه

الأطروحة ليست أطروحة الماضي فحسب، بل هي أطروحة الماضي والحاضر، وأطروحة المستقبل، وأن المهدي ما هو إلا قراءة ظلّية لشخصية النبي الأكرم ﷺ، ومثلما كان النبي ﷺ هو المعلم الأول لعلي عليه السلام في زمن الظهور، فهو المعلم للمهدي المنتظر (عجل الله فرجه) في زمن الاستمرار والبقاء. نحتاج أن نقرأ النبي بهاتين القراءتين ولا نكتفي بقراءة واحدة.

الأمر الآخر أنه بلا ريب ولا شك ولا خلاف حتى عند من عادى مدرسة النبي الأكرم ﷺ بأفقه الضيق، وبسبب جهله، أو بسبب تعنده، أو لأسباب مرضية معينة، يقول وباعتراف الكل ان النبي الأكرم ﷺ كان قد نجح في مشروعه، سواء لأنه نابغة، أو لأنه ملهم كالعرفاء، أو لأنه متصل بالسماء، وكم كانت السماء قد منحتهُ ؟، هل هذه منحة سماوية فحسب، وليس للنبي ﷺ دور إلا دور القابل، أم أن النبي الأكرم ﷺ كان شريكاً مساهماً مع السماء في إنجاح مشروعه وتخليده، وبقاء هذا المشروع.

نحن لا بد أن نبحث عن أسرار هذا النجاح، حتى نقف ونستمر في أمانتنا وعهدنا لرسول الله ﷺ، إذ إننا على الأثر، ولابد من أن نتمم هذا المشروع الذي قام به النبي ﷺ، ولا مجال إلى الاستمرار ما لم نعلم مفاتيح النجاح، فما هي أسباب النجاح عند النبي الأكرم ﷺ؟ . ألخّص أسباب النجاح بأسباب متعددة طالباً في ذلك الاختصار تاركاً الحديث المفصل إلى ما يقدمه الإخوة الكرام أهل العلم والتحقيق لتتميم

هذه الفكرة ولتتميم هذه الفائدة:

الأمر الأوَّل: الذي عاشه النبي ﷺ حتى نال الكأس، والفائز الأول في البشرية وفي الإنسانية، وباتفاق الجميع، وان رجلا يكتسح العالم ويكتسح الحضارات وهو ينشأ في شبه الجزيرة العربية المعدمة من كل شيء والفاقدة لكل الآليات والفاقدة لكل خصوصيات التواصل مع المدينة القريبة فضلا عن المدن البعيدة، القريبة من حيث البعد المكاني، والقريبة من حيث البعد الحضاري، كيف استطاع النبي الأكرم ﷺ أن يصل بفكره إلى الجميع؟ ، ولا زال النبي الأكرم ﷺ يغازل الأمة وكأنه حاضر، فلا يحق لنا أن نقول: إن النبي ﷺ ميت، وإنما النبي ﷺ حي، وهذه الذكرى ذكرى الولادة إنما هي لأجل إعادة النظر إلى أن النبي الأكرم ﷺ حيٌ بمشروعه، وفاعل بمشروعه، الأمر الأول الذي دعا لهذا النجاح وهذا الفوز للنبي الأكرم ﷺ هو وضوح الرؤية، كان النبي الأكرم ﷺ واضح الرؤية، واضح الفكر، لم تمر على ذهنه الكريم فكرة التشويش، ولم يقدم بضاعة الإجمال والإخفاء، وإنما كان واضحاً في فكره مع نفسه، وكان واضحاً في فكره مع غيره، كانت معالم المشروع عنده مكتملة؛ لأنه فهم ربه؛ ولأنه فهم العالم الذي يعيش فيه من حيث الزمان والمكان، وبعدما تحرر عن حيثه الزماني والمكاني، فعاش بين أفقين، وطار بين أفقين، بين بعده الزماني والمكاني فأشبع جمهوره، وارتوى جمهوره من أفكاره، مع انخفاض المستوى الفكري للأمة آنذاك، ولكنه استطاع أن يقدم مشروعاً موفقاً في زمانه،

ولم يكن مشروعه للأجيال القادمة وقد أهمل جيله الذي عاصره، بل تكلم باللغتين، باللغة الظاهرة فأشبع جمهوره، وتكلم باللغة العالية والسامية حتى استطاع أن يخاطبنا، فهو يخاطبنا اليوم، وهو يتحدث معنا اليوم، وهو يعيش معنا اليوم، يعيش معنا فكراً، ويعيش معنا سلوكاً، في كل صلاة نحن نتحدث مع النبي الأكرم ﷺ، ونحن نعلن ارتباطنا وانتمائنا إلى النبي الأكرم ﷺ، ولا ننتمي إليه بمحض الجمودية والعبودية، وإنما ننتمي إليه من حيث القناعة التامة في هذا، فكان واضحا في فكره.

الأمر الثاني: الذي كان سر النجاح للنبي الأكرم ﷺ هو إصراره على مفاهيمه وإصراره على أفكاره، حتى أن قريشا قد تجرأت بغبائها أن تقدم عرضاً للنبي الأكرم ﷺ بتقديم المال، أو تقديم الجاه، أو تقديم النساء، وقد خاطب النبي ﷺ تلك النظرية بحزم و صمود وقال: لو أعطيت الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أرفع يدي عن مثل هذه الدعوة لست رافعا يدي عن تلك الدعوة؛ لأنه كان مصراً على دعواه، كان دؤوبا في عمله، كان يحمل هم الأمة، ويحمل هم الإنسانية، خاطب الإنسانية، النبي ﷺ قبل أن يكون نبياً هو إنسانٌ، وإنسانية النبي ﷺ هي التي كانت وراء نبوة النبي الأكرم ﷺ، ولم تكن نبوة النبي ﷺ هي سبب ضمان إنسانية النبي ﷺ، على عكس ما يُتَصَوَّر، النبي كان ﷺ إنساناً ثم كان نبياً، الإصرار على الاستمرار كان هم النبي ﷺ، فكان أحد أسباب النجاح.

الأمر الثالث: تحمل العناء، تحمل الهجرة،

وتحمل الحصار، وتحمل الحروب النفسية، والإشاعات غير الأخلاقية، وقد تعرض هو وأهل بيته (عليهم السلام) ومن ينتمي إليه من عشيرته إلى أشد الضغوط على أن يتنازل، اغتيل أصحابه على أن يرفع يده عن تلك الدعوة، تحمل و بذل الغالي والنفيس، وبذل كل ما عنده، ذلك اليتيم بالمفهوم الدنيوي، وذلك الراعي في بداية نشأته بمفهومنا الدنيوي، وذلك التاجر الذي كان وكيلاً عن امرأة بمفهومها الدنيوي، وحقق الشيء الكثير؛ وذلك لأنه كان مصراً على مواصلة الدرب، وعلى استمرار المسير في الدرب.

الأمر الرابع: من أسباب نجاح هذا المشروع هو أنه عاش الفكرة، ونفذ الفكرة، حتى قيل: إنه كان أقرب الناس إلى العدو في ساحات الوغى، كنا نلوذ خلف رسول الله ﷺ في ساعات الشدة، وكان أصدق الناس قولاً، حتى أن هرقل الفارسي حينما سأل أبا سفيان: ما رأيك في محمد ﷺ؟ ، أهو صادق في قوله أم ليس بصادق؟ ، قال: هو صادق في قوله. كان يتعامل مع الأمة برفق وحنان، وغريبٌ للقائد الذي يريد أن يقود الأمة، ويتمكن أن يقود الأمة بمفاتيح الرحمة، عادة القائد لا يتمكن أن يفرض قيادته إلا بالحزم والقوة، استطاع النبي الأكرم ﷺ أن يخلق الأمن السلمي عن طريق رحمته ورأفته، وبالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، حتى شاطر الله (عز وجل) بهاتين الخصوصيتين، ولم يكن هناك من يتقدمه في هذا المضمار، تحمل الغالي والنفيس، كان ذلك أمراً وسببا من أسباب نجاح هذه الدعوة.

الأمر الخامس: العناية الإلهية المنظمة،

لا العفوية المبتذلة، لا أنها صادرة بلا ملاك، تلك العناية الإلهية ((ولسوف يعطيك ربك فترضى))، هذا الوعد الإلهي لم يكن جزافياً، ولم تكن منحة مجانية، ولم تكن منحة من الله (عز وجل) على غير أساس صحيح، وإنما منحة منظمة عقلية قائمة على أساس صحيح، وكان يقول كن عظيماً ولا تبحث عن العظمة، كان النبي الأكرم ﷺ عظيماً وإن لم يبحث عن العظمة، بل كان في جمهوره يسعى إلى أن يكون كاحدهم لا يميز من تواضعه، وفي حديثه كان يسعى إلى أن يكون خطابه وأدلجته أدلجة بسيطة حتى يفهمها عامة الناس، لكنه في مضمون هذه الأدلجة نجد عبارات عظيمة، ونحن اليوم بعد مرور هذا الزمن الطويل عندما نقف على نص نبوي نبقى في دائرة اليأس والعجز على أننا لم نتمكن أن نقرأ هذا النص كما ينبغي أن يُقرأ، وإنما نقرأ رشحاً من هذا النص، ونقرأ شيئا من هذا النص، فإن النص نور كالشمس، لا يمكن للعين الباصرة أن تنظر إلى الشمس؛ لأن الشمس فيها قوة من النورانية لا يمكن للبصر أن ينظر إليها، نعم العين الباصرة للنص النبوي هو الإمام المعصوم عليه السلام . وهذا لا يعني تعطيل قراءة النص النبوي، وإنما نقرأ بتواضع للنص النبوي، ونعترف بهذا التواضع، واننا وما نملكه من قدرة وآليات لقراءة النص فهي لا تكون آخر القراءات، بل سيأتي جيل بعدنا يقرأ ويقرأ بنحو الطولية، وتمضي قراءاتنا ويأتي بجديد بدائرة القراءة على أن يكون متمما ومكملاً لتلك القراءة، لا أنه يكون مبطلاً وناسخا لتلك القراءة.

أكتفي بهذا وأخاطبكم بأمرين: لماذا انفرد

النبي الأكرم ﷺ بخطابٍ وإن كان شاطر الأنبياء والرسل إذ قال: أمتي أمتي؟ ، ولماذا عندما تتوجه الأمة، وعندما تتوجه البشرية في عرصات يوم القيامة بعد ما تقف على أبواب آدم وتطلب من آدم عليه السلام، ويقول: لست لها، وعندما تقف الأمة على أبواب إبراهيم وتخاطب إبراهيم لأن تسد رمقها في تلك الآناء والساعات، ويكون خطاب إبراهيم الخليل عليه السلام لست لها، وعندما تتوجه الأمة الى موسى الكليم عليه السلام مخاطبة إياه لأجل أن تستنقذ بموسى الكليم عليه السلام، فيقول: لست لها، وعندما تتجه الأمة إلى عيسى روح الله وتطالبه بهذا، ويقول: لست لها، وعندما تقف الأمة على باب رسول الله حبيب الله فيقول: أنا لها، ما هو ذلك الشيء الذي يكون أمره؟ . والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجلسة
الباحث